الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

الهوية في رواية " ضحايا الغدر وطوفان الغضب" لمحمد الطاهر سحري

مُذَكِرَة مُقَدَّمَة لِنَيْل شَهَادَة الماستر فِي الأَدَاب واللُّغَة العَرَبِيَّة
تَخَصُّصْ: أدب حديث و معاصر

إعداد الطالبة:
أحلام شويب

إشراف الدكتورة :
آسيا جريوي

لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة
نصيرة زوزو	دكتورة	رئيسا
آسيا جريوي	دكتورة	مشرفا ومقررا
سعاد طويل	دكتورة	مناقشا

السنة الجامعية:
1437هـ/1438هـ
2016م/ 2017م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

(وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥)

سورة التوبة/ الآية: 105.

بعد بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد الصادق الأمين، نحمد الله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة، وأعاننا على أداء هذا الواجب، ووفقنا في إنجاز هذا العمل.

ولذلك نتقدم بخالص الشكر والامتنان، إلى الأستاذة المشرفة؛ " جريوي آسيا "، التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة، التي كانت عونا لنا طيلة مسار إنجاز هذا البحث.

ونتقدم بالشكر الجزيل لأساتذة الآداب واللغة العربية، على المعلومات القيمة، التي زودونا بها طوال مسيرتنا الدراسية.

كما نشكر أيضا كل من ساعدنا من قريب، أو من بعيد في إنجاز هذا العمل.

مقدمة

مقدمة:

تعتبر مسألة الهوية، من أهم القضايا الجديرة بالبحث، في الرواية العربية بشكل عام، والرواية الجزائرية بشكل خاص، ولعل من الأعمال الجزائرية، التي عبرت عن الهوية بصور مختلفة رواية " ضحايا الغدر وطوفان الغضب " لمحمد الطاهر سحري؛ حيث تطرق في روايته للتاريخ الجزائري.

إنّ ما أثير حول قضية الهوية، خاصة تلك المتعلقة بالتاريخ الجزائري، هو الذي دفعني إلى اختيار الموضوع بغية الوصول إلى أهم النقاط، والحقائق المتعلقة بالاستعمار الفرنسي في الجزائر، وتوضيح الصورة الحقيقية للآخر، سواء قبل الاستقلال أو بعده، ورواية " ضحايا الغدر وطوفان الغضب " تحمل من الهوية الجزائرية، ما يجعلني أختارها في هذه الدراسة.

ومن هذا المنطلق جاءت الدراسة موسومة بـ:

الهوية في رواية " ضحايا الغدر وطوفان الغضب " لمحمد الطاهر سحري.

وتقوم هذه الدراسة، على التساؤلات الآتية:

-ما مفهوم الهوية؟ وما هي أبرز المعالم التي تقوم عليها؟

-هل يمكن استخلاص الهوية في ظل ثنائية الأنا والآخر في الرواية؟

كيف تظهر الهوية العربية والفرنسية من خلال الشخصيات في الرواية؟، وهل هناك تعايش بين الهويات في الرواية؟

وفي محاولة للإجابة عن هذه الانشغالات وغيرها، جاءت خطة البحث عبارة عن مدخل نظري، وفصلين تطبيقيين، كالآتي:

-مقدمة: وجاء فيها طرح للموضوع، والانشغالات المتعلقة به.

مقدمة:

-مدخل: ورد بعنوان: " الهوية بحث في المفاهيم "، قمت فيه بتقديم بعض التعاريف، والآراء المدعمة للمفاهيم المعلقة بالهوية ومعالمها.

-الفصل الأوّل: جاء بعنوان " الهوية بين ثنائية (الأنا والآخر) دراسة في الرواية "، وقمت بتقسيمه إلى فترتين قبل الاستقلال، ودرست فيها كيف تظهر الهوية الجماعية للشعب الجزائري (الأنا) والاستعمار الفرنسي (الآخر)، أمّا فترة بعد الاستقلال، فقد كانت الدراسة للثنائية من خلال نظرة (الأنا) الجزائري (للآخر) الفرنسي، ونظرة (الآخر) الفرنسي (للأنا) الجزائري.

-الفصل الثاني: والموسوم بـ: " الهوية والتعايش الحضاري في الرواية "؛ حيث قمت فيه باستخراج أبرز المعالم الوطنية للهوية الجزائرية، والفرنسية لشخصيات الرواية، وكيف عبّرت هذه الشخصيات عن هويتها، وكما أشرت إلى التعايش الحضاري بين الهويات.

-خاتمة: وقمت فيها باستخلاص جملة من النتائج المتوصل إليها.

واعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي، باعتباره المناسب في تقسيم الزمن التاريخي في دراسة الهوية، والمتمثل في(قبل الاستقلال، وبعد الاستقلال).

كما اعتمدت في الدراسة على مصادر ومراجع، أهمها:

-محمد الطاهر سحري، رواية " ضحايا الغدر وطوفان الغضب ".

-شريف رضا، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري.

-محمد حسن البرغثي، الثقافة العربية والعولمة دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين الغرب.

مقدمة:

أمّا عن أهم الصعوبات، التي اعترضتني أثناء عملية البحث فقد تمثلت في صعوبة التطبيق واستخلاص الهوية من الرواية.

وفي الأخير أحمد الله سبحانه وتعالى الذي منحني القوة والصبر لإتمام هذا العمل، كما أشكر الأستاذة المشرفة " جريوي آسيا " على المتابعة والتوجيهات المفيدة، التي قدمتها وكانت سببا في إنارة طريق البحث.

مـــدخـــــــــــل:

" الهوية بحث في المفاهيم "

- أولا: الهوية بين المفهوم اللغوي و الاصطلاحي:

1- المفهوم اللغوي.

2- المفهوم الاصطلاحي.

2-1- في التصور الغربي

2-2- في التصور العربي

- ثانيا : الهوية العربية في ظل العولمة:

- ثالثا : الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية:

1- نشأة الرواية

1-1- عند الغرب

1-2- عند العرب

2- ظهور الرواية الجزائرية

3- تمثلات الهوية في الرواية الجزائرية.

- رابعا: معالم الهوية الوطنية:

1- اللغة العربية.

2- الثقافة.

3- التاريخ الجزائري.

4- الدين الإسلامي.

مدخل: الهوية بحث في المفاهيم

يحتل موضوع الهوية حيزا مهما في الدراسات الفكرية و السوسيو ثقافية حيث أصبحت هذه اللفظة تستعمل في الكثير من التخصصات بدلالات مختلفة، كالأدب، وعلم النفس، وعلم الاجتماع (...)، والهوية مسألة من المسائل، التي أثارت الكثير من الإشكالات، سواء على المستوى العالمي، أو داخل الوطن العربي؛ حيث شهدت الساحة الفكرية العربية، صراعات خاصة في ظل التنوع الأيديولوجي، الذي يعيشه العالم العربي بين ممجد للتراث، وبين منفتح على الثقافات الأخرى، ومن هذا المنطق تعددت الآراء حول " الهوية "، التي تعد من قضايا العصر الراهن.

أولا: الهوية بين المفهوم اللغوي و الاصطلاحي

1- المفهوم اللغوي:

جاء في (لسان العرب) "لابن منظور"، في حرف (الواو، والياء من المعتل)، فصل الهاء من مادة (هوا)، أن الهوية، هي : « بِئْر بعيدة المَهْوَاة، وغَرْسُهَا سَقْفُهَا المُغَمَّى عليها بالتراب فيُغْتَرُ به وَاطِئُهُ فَيَقَعُ فيها ويهلك (...)، وقِيلَ الهُوَّةُ الحُفْرَةُ البَعِيدَةُ القَعْرِ، وهي المَهْوَاة . ابن الأعرابي : الرِّوَايَةُ عَرْشُ هُوِّيةُ، أراد أَهْوِيّة، فلما سقطت الهمزة ردت الضمة إلى الهاء (...)، و في الحديث : إذا عَرَّسْتُمْ فَاجْتَنِبُوا هُوِيَّ الأَرْضِ، هكذا جاء في رواية، وهي جمع هُوَّةٍ، وهي الحُفْرَةُ والمُطْمَئَن من الأَرْضِ ويقال لها المَهْوَاةِ أيضا ». [1]

فالهوية بهذا المعنى، تشتمل على كل شيء عميق أو غير مستوي ، وفي تراثنا الفكري العربي تعريفات كثيرة " للهوية "، إذ عرفها "عبد القاهر الجرجاني "، أنها: الأمر المتعقل من حيث امتيازه من الأغيار، والهوية عند " ابن رشد "، تقال بالترادف على

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة (هوا)، دار صادر، بيروت، مج 15، 1990م، ص 374.

المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود، وعند " الفارابي " هوية الشيء عينته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه إشراك[1].

ونلحظ من هذه التعريفات اتفاقها على أن الهوية، تعني التميز والتفرد؛ لأن هوية الشيء، ماهيته وحقيقته المعبرة عنه. أما عند الغرب، فنجد مصطلح " الهوية "، يقابل كلمة (Identité) باللغة الفرنسية، و (Identity) باللغة الإنجليزية، وجذور المصطلح تعود إلى الأصل اللاتيني، الذي يعني : الشيء نفسه أو الشيء الذي هو عليه ؛ أي أن الشيء له الطبيعة نفسها عند شيء آخر، كما يعني هذا المصطلح في اللغة الفرنسية : مجموع المواصفات التي تحمل من شخص ما هو عينه شخص معروف أو متعين [2].

إن الدلالة اللغوية لمصطلح " الهوية "، سواء عند العرب أو الغرب تكاد تجتمع على مفهوم واحد وهو :امتلاك الشيء لصفات جوهرية تجعله متميزا عن غيره.

2- المفهوم الاصطلاحي:

الهوية هي تعبير عن تاريخ الأمم وحالتها الراهنة، خاصة في ظل تعدد الثقافات والسياسات والأيديولوجيات وغيرها من التوجهات، ومن هذا المنطلق نجد تعريفات مختلفة للهوية وكل ميدان يعرفها بحسب وجهة نظره.

2-1- في التصور الغربي :

نجد مفهوم الهوية في التصور الغربي، عند "جان فريمون " (Jean fremand) الهوية، بأنها: « إحساس متماسك بالذات، وهي تعتمد على قيم مستقرة، وعلى قناعة

---

[1] ينظر : أحمد بعلبكي و آخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 23.

[2] ينظر : المرجع نفسه، ص ن.

بأن أعمال المركز ذات علاقة متناغمة، فالهوية شعور بالكلية والاندماج، ومعرفة ما هو خطأ وما هو صواب » [1].

لا نستطيع معرفة هويتنا الاجتماعية، إلا من خلال الاندماج، والتبعية لمجموعة معينة؛ لأنها تحمل قيم وعادات مشتركة بين أفرادها.

يعرف المفكر الفرنسي، " أليكس ميكشللي " (Alex Mucchielli) الهوية بأنها: « وحدة متكاملة من المعطيات المادية، النفسية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها، فالهوية هي وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتمايز عما سواه ويشير بوحدته الذاتية » [2].

لقد ربط ميكشللي مفهوم الهوية بالمعطيات المادية، والنفسية، والاجتماعية، كما ربطها بشعور الفرد الداخلي وتميزه.

2-2- في التصور العربي :

يعرف" محمد سبيلا " الهوية، بقوله هي : « مجموع السمات النفسية ، والاجتماعية والحضارية المميزة لأمتنا عبر تاريخها الطويل » [3]، والمقصود هنا، هو الهوية القومية التي تميز شعب عن شعب آخر، ويرى " عفيف بهنس "، أن: « الهوية القومية تتحقق بفعل

---

[1] عمرو خاطر عبد الغني وهدان، العربية والعولمة معالم الحاضر وأفاق المستقبل في ضوء الثقافة العربية والهوية الإسلامية، مؤسسة حورس الدولية للنشر، الإسكندرية، ط1، 2010، ص 115،116.

[2] سعيد إسماعيل علي، الهوية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2005، ص67.

[3] شريف رضا، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، (د ط)، 2011، ص 16.

العوامل المتراكمة، والمتنوعة، التي تنحدر من مجموعة بشرية، ذات خصائص تاريخية وجغرافية، وإنسانية مشتركة والانتماء القومي، لهذه المجموعة يزكي ويغني الهوية، ولكنه لا يتحكم في تحديد خصائصها التي تتجلى بمجموعة الأفعال، التي تقوم بها أمة من الأمـم ». [1]

فالهوية، لا تتحدد إلا في إطار جماعة معينة، وما تقوم به من أفعال تعبر بها عن خصوصيتها، وهذا ما يجعل المجتمع، يتميز عن غيره، أما " محي الدين صابر " فيرى أن الهوية هي: « الاسم السياسي للشخصية التاريخية، أو الشخصية الثقافية، أو الكيان الحضاري لمجموعة من الناس من مكان معين، وهي تمثل الخصائص الحضارية، التي ابتدعتها المجموعة التي تنتمي إليها من اللغة، والدين، والقيم الجمالية، والأخلاقية، وأنماط العلاقات الاجتماعية، والمهارات التقنية، وفلسفة الحياة والموت » [2].

الهوية القومية، هي تلك السمات المشتركة، بين مجموعة يحكمها دين واحد، ولغة واحدة، وتاريخ مشترك، فبتحقق هذه العناصر تكوّن هذه الجماعة فيما يعرف بالهوية القومية. ونجد " رشاد عبد الله الشامي "، يعرفها بأنها: الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية، التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميا إلى تلك الجماعة، وهي شفرة تتجمع عناصرها العرقية على مدار التاريخ والتراث الإبداعي، والواقع الاجتماعي، بالإضافة إلى الشفرة، تتجلى

---

[1] المرجع السابق، ص 16، 17.

[2] محمد حسن البرغثي، الثقافة العربية والعولمة دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2007، ص 117.

الهوية كذلك، من خلال تعبيرات خارجية شائعة، مثل: (الرموز، والألحان والعادات) [1].

والهوية بهذا المفهوم، هي شيء مركب ومتداخل في نفس الوقت، فهي تمثل الماضي والحاضر معا، وهذا راجع إلى ما ترثه الجماعة، أو الأمة من بطولات، وأمجاد، وانتصارات وتضحيات وغيرها من القيم، والسلوكات، أو ما يعرف بتاريخ الجماعة البشرية، في زمان ومكان معينين، أما الحاضر فهو يمثل النشاط الإنساني، الذي يعبر عن الطموح والرغبة في العيش، وهذا ما تبرزه جملة الأنشطة الاجتماعية المختلفة، التي تعبر عن الخصوصية، والتفرد والتميز عن الآخرين [2].

نجد أن كل التعريفات السابقة، اهتمت بالهوية في علاقتها بالجانب الاجتماعي أو المجتمع، وهناك من يرى أن الهوية متعلقة بالذات الفردية، لكونها عنصرا مهما، في تشكيل الهوية القومية، إن التمييز بين الذات والذات الأخرى، يأتي من خلال الهوية، فهي مفهوم ثقافي مركب من المجالات الاجتماعية، واللغوية، والعقائدية والمهنية، والعرقية، وأخيرا الانتماء الجنسي بمعنى الذكورة والأنوثة [3].

فلا يمكن أن تتشكل هوية جماعة ما، إلا من خلال اشتراك الذوات المنتمية تحتها، في مجموعة من العناصر، تجعلها تختلف عن بقية الجماعات الأخرى.

إن الشعور بالهوية، ليس شيئا ثابتا على الإطلاق يحظى به المرء ويحمله معه، كملكية غير قابلة للضياع، وإنما يخضع حسب الحالات الداخلية والتفاعلات الاجتماعية

---

[1] ينظر : شريف رضا، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري، ص 17.

[2] ينظر : المرجع السابق، ص ن.

[3] ينظر : نورة فرج، ارتباكات الهوية أسئلة الهوية والاستشراق في الرواية العربية الفرنكوفنية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب/ بيروت، لبنان، ط1، (دت")،ص 95.

الخارجية، إلى تأرجحات، ينبغي الدفاع عنها ضد النزعات اللاشعورية، والأخطار، والعوامل الخارجية، وعلى الرغم من أن المجالات المركزية، لخبرة ذاتنا تظل ثابتة فإن الهوية تخضع للتعديلات أيضا [1].

نستخلص من هذه التعريفات، وجود التنوع والاختلاف، في مفهوم مصطلح الهوية، فكل باحث يربطها بالتخصص، الذي ينتمي إليه؛ حيث ربطها البعض بالخصائص النفسية، والبعض الآخر بالخصائص الحضارية والاجتماعية (...)، فالشعب العربي له صفاته، ومميزاته، وتطلعاته، التي تميزه عن الشعوب الأخرى، ويمكن القول أن مصطلح الهوية شأنه شأن المصطلحات الأخرى، التي عُرِفت حديثا، وهي لا تزال محل اختلاف حتى في إطار الثقافة الواحدة.

- ثانيا : الهوية العربية في ظل العولمة :

مصطلح الهوية والعولمة، هما مفهومان متجاذبان، تتأسس بينهما علاقات جدلية فريدة من نوعها، لكن السؤال الذي يطرح نفسه في سياق هذه العلاقات، هو: هل تؤدي العولمة إلى ذوبان الهوية القومية العربية؟، وهل تؤدي إلى تهميش الثقافات الوطنية؟.

العولمة بمفهومها العام، هي العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب، فتنتقل المجتمعات من حالة التجزئة إلى حالة التوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز، إلى حالة التجانس والتماثل، وبذلك يتشكل وعي عالمي، وقيم موحدة تقوم على مواثيق إنسانية عامة [2]. من خلال هذا التعريف، يمكن القول

---

[1] ينظر : Peter Gozen، البحث عن الهوية" الهوية ونشتتها في حياة إيرك ايركسون وأعماله"، تر : سامر جميل رضوان، دار الكتب، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2010، ص 97.

[2] ينظر :مجدي حجازي، الثقافة العربية في زمن العولمة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 2003، ص 18.

أن العولمة، هي تجاوز الشيء للحدود الجغرافية، وبالتالي يحمل طابع الشمولية سواء كان في مجال السياسة، أو الثقافة، أو الأدب، أو الدين ...

إن تأثير العولمة على الهوية من أشد الأخطار، يعتبرها " محمد قطب ": « أسوأ أشكال الإمبريالية؛ حيث إنها صورة متعجرفة تسحق الناس، وتقضي على هويتهم، وتحولهم إلى أتباع وعبيد، وهي أساسا ضد المسلمين تنشر خبثها – كالأخطبوط – في السياسة والفكر، والدين، والأخلاق، والثقافة، والعادات، والتقاليد؛ حيث إن الإسلام هو الدين الأمثل الذي يدعو إلى التنوع بينما العولمة تفرض نموذجا واحدا من الحياة » [1].

إن العولمة تشمل جميع المجالات، وبهذا المنظور فهي تعمل على بناء ثقافة واحدة، وتذويب الحدود والحواجز الثقافية بين الشعوب وثقافة العولمة في الأدبيات الحديثة، لها صورتان:

- **الصورة الأولى:** ثقافة الثقافة، وهي التي تتصل بالآداب والفنون والعلوم؛ أي أن الثقافة العربية في هذه المجالات مرهونة بما وصل إليه الغرب من اكتشافات.
- **الصورة الثانية:** وهي الثقافة الاستهلاكية، التي تتصل بإشباع الحاجات الأولية البدائية، إن هذا الصنف من الثقافة، الذي يوحد شباب العالم، وتتمثل في: (المأكولات، والأفلام السينمائية، والأغاني، ...) [2]، ويرى " عبد العزيز التويجري ": أن ما تقوم به العولمة اتجاه الهوية العربية، هو: « ثورة ضد قوانين الهوية وخرق للقوانين المتفق عليها بين البشر، مما يهدد السلام والأمن والاستقرار

---

[1] عمرو خاطر عبد الغني وهدان، العربية والعولمة معالم الحاضر وأفاق المستقبل في ضوء الثقافة العربية والهوية الإسلامية، ص 116.

[2] ينظر : المرجع نفسه، ص 113.

في العالم مستغربا كيف يعتز الغرب بهويته ويرفض حق الشعوب الأخرى بالاعتراف بهويتها » [1].

هناك جانبان للعولمة، أحدهما: إيجابي، والآخر سلبي، أما الإيجابي: فهي تفتح للإنسان آفاق التطلع، والفهم لما يحيط به عبر العالم من ثقافات وعلوم وفنون، وهذا ما كان غائبا أو صعب تحقيقه في السابق، أما السلبي، فنجده في شطرها الثقافي مخاطر وسلبيات خاصة، إذا كان الأمر يخص الدول المستهلكة لإفرازات العولمة، والملاحظ للمشهد الثقافي العربي، يدرك حقيقة هذا التأثير على الشخصية الثقافية العربية؛ حيث أصبح الفرد العربي يشكك في قناعاته الوطنية، والقومية، والدينية، والعقائدية، مما ساهم بعض الشيء في إضعاف روح الوعي، والنقد، والإبداع، وهذا بفعل سيطرة الثقافة الكونية [2].

إن المحافظة على الهوية العربية، لا يعني الانطواء على ثقافتنا وتجاهل ثقافة الآخر، بل يجب التوازن في النظر إلى الهويات الأخرى، وانتقاء ما يناسبنا، وهذا لا يتأتي إلا « بتنمية مهارات التواصل والتفاوض الثقافي وتنمية القدرة على الإقناع، وهندسة الحوار مع الآخر، والتخلص من نزعات التعصب والعنف، كما يقتضي هذا من التربية تدعيم الثقة بالنفس واحترام الذات وترسيخ قيم المواطنة والولاء للوطن والذود عن هويته »[3].

إن تأثير العولمة على الهوية العربية واضح وجلي نظرا لأن معظم الدول العربية تعرضت للاستعمار، وبالتالي هيمنت ثقافة المستعمر عليها، وهذا التأثير مس جميع المجالات سواء الفكرية أو الأدبية أو الروائية، أو الشعرية ...

---

[1] المرجع السابق، ص 116.

[2] ينظر : شريف رضا، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري، ص 59.

[3] عمرو خاطر عبد الغني وهدان، العربية والعولمة معالم الحاضر وأفاق المستقبل في ضوء الثقافة العربية والهوية الإسلامية، ص 122.

- ثالثا : الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية :

1- نشأة الرواية:

1-1-عند الغرب :

تعد الرواية، جنس أدبي ظهر في العصر الحديث، لكن الخطوات الأولى في تشكيلها تعود إلى المجتمع البرجوازي، فالفيلسوف " هيجل " (Higel) في دراسته للشكل الروائي، يقيم تعارضا بين الشكل الملحمي والشكل الروائي، وانطلاقا من هذا التصور الفلسفي، يعتبر " لوكاش " (Lukàc) الرواية جنسا منحدرا من الملحمة؛ حيث يعرفها بأنها ملحمة برجوازية، فإذا كانت الملحمة تصور الوحدة بين الفرد والعالم، فالرواية تشخص التعارض بين الإنسان والعالم[1].

إن الطرح الفلسفي لنشأة الرواية يعود إلى ربطها بالملحمة، والمجتمع البرجوازي بينما نجد " لوسيان غولدمان " (Goldmann)، يربط الشكل الروائي بالمجتمع، ويرى أن ما يحدد اجتماعية الرواية، هو كونها « في آن واحد سيرة وتاريخ اجتماعي، لذلك يعتقد أن المشكلة الأولية التي يتوجب على سوسيولوجيا الرواية تناولها، هي مشكلة العلاقة بين الشكل الروائي نفسه، وبنية الوسط الاجتماعي الذي تطور هذا الشكل داخله؛ أي بين الرواية كنوع أدبي، والمجتمع الفرداني الحديث ». [2]

الرواية، هي مزيج بين الشكل الروائي والوسط الاجتماعي، الذي تنشأ فيه الرواية وتتطور، وبعيدا عن تصور "جورج لوكاش " (Georg Lukàcs) و" غولدمان "، يرى

---

[1] ينظر: محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، دار الأمان، المغرب/ منشورات الاختلاف، الجزائر/ الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1، 2010، ص 15.

[2] المرجع نفسه ، ص16، 17.

" باختين " (Bakhtine)، أن « أصول الرواية وجذورها ترجع إلى الطبقات الشعبية الدنيا، وليس إلى الطبقة البرجوازية كما اعتقد " لوكاش ؛ حيث أن الرواية استلهمت بلاغتها وأساليبها اللغوية من الأدب الشعبي؛ أي مما أنتجته الطبقات الشعبية » [1].

فالرواية في تصور " باختين " هي جنس أدبي مركب، يمزج بين طبقات شعبية مختلفة، وفي هذا المزج تتولد لنا أجناس مختلفة، كالشعر، والنثر، والمذكرات ... ونجد لغات متعددة، مثل: (الفصحى و العامية).

إن التصور الغربي لنشأة الرواية، يعود إما للملاحم أو الطبقة البرجوازية، وإما للمجتمع، الذي تنمو فيه الرواية و تتطور، والفرضية الأخيرة، تعود إلى الطبقة الشعبية، التي تستلهم منها الرواية مادتها.

1-2-عند العرب :

عرف الأدب العربي جنس الرواية كغيره، من الآداب الأخرى، إلا أن هناك اختلاف حول وجود هذا الجنس الأدبي في التراث العربي، فهناك من يرى أن الرواية العربية أصيلة في التراث، والدليل على ذلك « قصص الفروسية في الجاهلية، وأخبار العرب، والسير الشعبية البطولية، هذا التراث الحكائي الضخم يعتبره أصحاب هذا الاتجاه، بمثابة أصول وجذور الرواية العربية » [2].

فهذا الموقف يربط الأدب بالهوية؛ لأن القول بعدم وجود الرواية في التراث العربي، هو إهانة للأمة العربية، التي سادت حضارتها العالم بأسره. في المقابل هناك من يعتبر الرواية جنس غربي انتقل إلى الثقافة العربية عن طريق الترجمة؛ حيث « يرجع

---

[1] المرجع السابق، ص 17.

[2] المرجع نفسه، ص18.

ظهور الرواية العربية إلى مجرد النقل الآلي، عن الثقافة الغربية والتأثر الشخصي بها » [1]، إن هذا الموقف التغريبي للرواية، جاء نتيجة عدم الإيمان، بوجود هذا الجنس في التراث العربي، والغرب هم الذين ابتدعوه وكتبوا على منواله، وبالتالي فالثقافة العربية، كانت مجرد ثقافة مستهلكة لما أنتجه الغرب.

بالإضافة إلى هذين الموقفين، نجد اتجاه آخر ينطلق من منطلقات علمية، متجاوزا النزعة الأيديولوجية، للموقفين السابقين، ويحقق هذا التجاوز، بتغيير مسار الدراسة نحو البحث في الشروط الأدبية، والاجتماعية، التي شكلت عوامل ثقافية، لتكون جنس الرواية العربية في القرن التاسع عشر، وهذا التكون جاء تحت ضغط عوامل متعددة، ومعقدة أدبية وثقافية، وداخلية (المكون اللغوي، والمتخيل الروائي)، وخارجية (المثاقفة). [2]

ويمكن القول، أن الرواية العربية جاءت نتيجة مزاوجة بين الثقافة العربية من جهة، والثقافة الغربية من جهة أخرى، فلا يمكن أن ننكر فضل الغرب في ازدهار هذا الجنس الأدبي من خلال مجموعة من الأعمال الروائية التي لاقت شهرة واسعة في العالم.

2- ظهور الرواية الجزائرية :

إن تاريخ الشعب الجزائري المليء بالبطولات، والتضحيات إبان الاستعمار الفرنسي، وحتى بعده قد انعكس على الأعمال الأدبية النثرية، والشعرية، والملاحظ أن ظهور الرواية الجزائرية، مرتبط بالمراحل التاريخية، التي مر بها الشعب الجزائري، وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم الأعمال الروائية، على فترتين هما: فترة ما قبل الاستقلال، وفترة ما بعد الاستقلال.

---

[1] المرجع السابق، ص19.

[2] ينظر : المرجع نفسه، ص 20.

2-1 فترة ما قبل الاستقلال:

وتتميز هذه الفترة، بظهور بعض الروايات بدءا بما يمكن أن نعده أول عمل روائي في الجزائر، وهو: (حكاية العشاق في الحب والاشتياق)، " لمحمد بن براهيم "، الذي يدعى " الأمير مصطفى" سنة (1949 م)، ويتسم هذا العمل الروائي بالضعف اللغوي، والتقني، وهذا ما جعل " عمر بن قينة " يتحفظ في اعتباره رواية أولى، على مستوى الوطن العربي على الرغم من أن الرواية عكست نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر[1].

كما تزامنت أحداث 8 ماي 1945، مع ظهور رواية (غادة أم القرى)، " لأحمد رضا حوحو"، ويشير " أحمد منور"، أنه في حال اعتبار هذا العمل رواية فإن ذلك سيشهد ميلاد الرواية الجزائرية في القرن العشرين [2] ،أما "وسيني الأعرج " « فقد عد " غادة أم القرى " أول عمل روائي مكتوب بالعربية في الجزائر فقال عنها إنها ظهرت كتعبير عن تبلور الوعي الجماهيري بالرغم من آفاقها المحدودة » [3].

بالإضافة إلى هذين العملين، نجد بعض الروايات مثل رواية (الحريق) " لرشيد بوجدرة "سنة (1957م)، ورواية (الطالب المنكوب) " لعبد المجيد الشافعي" (1951 م).

2-2 فترة ما بعد الاستقلال:

بعد الحصول على الاستقلال، حاول الشعب الجزائري بناء بلده والمساهمة في ازدهارها، بعد أن خلف له الاستعمار الفرنسي الدمار والخراب، بالإضافة إلى ذلك الجهل

---

[1] ينظر: صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية دراسة، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2003، ص50.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص51.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

والأمية التي كان يعيشها الشعب الجزائري، فنجد الأديب يحمل على عاتقه مسؤولية البناء وتصوير مظاهر الصراع، الذي يخوضه الشعب الجزائري لإثبات وجوده.

كل هذه العوامل جعلت الرواية الجزائرية تتأخر في الظهور إلى غاية السبعينات يقول " وسيني الأعرج ": « عن أسباب عدم ظهور الرواية في الستينات وتأخرها إلى السبعينات؛ لأن الظرف التاريخي بكل مفارقاته الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية والثقافية، زيادة على أن ثقافة الأديب نفسه، لم تكن لتساعده ولا لتسهم في ظهور الرواية ولكنها خلقت التربة الأولى، التي ستبنى عليها أعمال أدبية فيما بعد خصوصا مع التحولات الديمقراطية في بداية السبعينات » [1].

فمع بداية السبعينات، شهدت الرواية تطورا لم تعرف له مثيل من قبل، ولم يكن ليحدث ذلك في معزل عن التغيرات الجذرية، التي شهدها تاريخ الجزائر من إنجازات، فكانت الرواية تجسيد لذلك كله [2].

ومن أبرز الروائيين الذين لمعت أسماؤهم في فترة السبعينات نجد : " عبد الحميد بن هدوقة "، و" وسيني الأعرج "، و"طاهر وطار "، و" رشيد بوجدرة ".

3- تمثلات الهوية في الرواية الجزائرية:

تعد الهوية إحدى الإشكالات الأساسية، التي شغلت الروائي الجزائري ولا تزال، فقد ارتبطت « بالبعد التاريخي، الذي يعود إلى المرحلة الكولونيالية، وقد تميز خطاب الهوية لدى أغلب المثقفين، بإقصاء الآخر والعلاقة مع الآخر» [3].

---

[1] المرجع السابق ، ص56.

[2] ينظر : المرجع نفسه، ص ن.

[3] بوشعيب الساوري، تمثلات الهوية والآخر قراءة في ثلاثة نصوص روائية (الهوية والتخييل في الرواية الجزائرية قراءات مغربية)، رابطة أهل القلم، سطيف، ط1، 2008، ص48.

والحديث عن الهوية في الأعمال الروائية يقودنا إلى استحضار سياقين بارزين، كان لهما الأثر الكبير في الهوية الوطنية، وهما: (سياق الثورة والشهداء المرتبط بالفترة الاستعمارية وما بعدها وسياق، الإرهاب الذي يحيل على تسعينات القرن الماضي)، فالأول يتأسس على صراع مزدوج مع الآخر البعيد الغريب، وهو عدو خارجي، له هوية مستقلة من جهة، أما من جهة أخرى فالصراع مع الآخر القريب الذي يشارك الذات الوطن، والهوية ولكنه المنفرد بخبرات الثورة وامتيازاتها، وإن كان أحيانا خائنا زمن الثورة، أما السياق الثاني: الصراع فيه داخلي، فالقاتل والضحية جزء من الذات، يتعلق الأمر هنا بهوية متصدعة، ومأزومة تعيش أزمة داخلية فتنعكس هذه المتغيرات، على تمثل الرواية الجزائرية باعتبار تفاعل الروائي مع هذين السياقين. [1]

إن الروائي الجزائري، يعبر عن هويته من خلال العودة للتاريخ، وإعادة « تقديم وقائع متسلحا بالسرد مانحا صوتا للسردية التي غيبتها السلطة أو غمرها نفوذ الأقوياء، بهذا المعنى تضطلع الرواية الجزائرية الحديثة، وهي تأخذ على عاتقها هذه المسألة المعقدة، بمهمة إنسانية وثقافية ملتزمة، يتأكد من خلالها أن السرد، صار أساسيا في التعبير عن هواجس وأحلام الأمة » [2].

حرص الروائي الجزائري، على تقديم هويته الوطنية في روايته، سواء من خلال التاريخ أو الثقافة أوالدين، والملاحظ أن العنصر البارز في العمل الروائي، هو التاريخ، وهذا نظرا للظروف الصعبة، التي مرت بها الجزائر.

---

[1] ينظر : المرجع السابق، ص 49.

[2] إدريس الخضراوي، البطاقة السحرية : التاريخ وسرد الهوية (الهوية والتخييل في الرواية الجزائرية قراءات مغربية)، ص 85.

- رابعا: معالم الهوية الوطنية:

إن من أهم المرتكزات التي تقوم عليها الهوية الوطنية، هي: (اللغة العربية، والدين الإسلامي، والثقافة، والتاريخ الجزائري)، فهذه المعالم بمثابة الدعامة الأساسية للهوية، ويمكن تحديدها، كالآتي:

1- اللغة العربية:

لكل شعب أو أمة لغة تميزها، عن باقي الأمم والشعوب الأخرى، فنجد اللغة العربية تميز الأمة العربية عامة، وخاصة الشعب الجزائري؛ لأنه يعتبرها لغة مقدسة، فبهذه اللغة نزل القرآن الكريم، فاللغة إذا هي: « العنصر الأساسي للهوية، والمكون الرئيسي للثقافة، وبالتالي فهي الثقافة العربية الإسلامية، واللغة العربية ليست لغة أداة فحسب، ولكنها لغة فكر أساسا » [1].

إن اللغة العربية، هي وسيلة الشعب الجزائري في تدعيم ثقافته وتعزيز تراثه، والدفاع عن أصالته وعروبته وتعميق هويته، وتوجيه قدراته على الإبداع، والتجديد في مختلف العلوم [2]، وليست اللغة العربية منحصرة في الجانب الإبداعي فقط ، بل تحمل طابع اجتماعي؛ لأنها «ظاهرة اجتماعية شاملة، تعبر عن الروابط الموجودة بين الأفراد، وعن العالم الذي تنسب إليهم خبرتهم » [3].

---

[1] عبير بسيوني رضوان، أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية، دار السلام، القاهرة، الإسكندرية، مصر، ط1، 2012، ص89.

[2] محمد عبد الرؤوف عطية، التعليم وأزمة الهوية الثقافية، مؤسسة طيبة للطبع والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2009، ص48.

[3] عبير بسيوني رضوان، أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية، ص 31.

إن اللغة العربية، بالإضافة إلى وظيفتها الاجتماعية التواصلية، ووظيفتها الفنية الإبداعية، فهي تعبر عن هوية المجتمع الجزائري؛ لأنها اللغة التي جاء بها دينه الإسلامي، وكتب بها تاريخه وعبرت عن ثقافته.

2-الثقافة:

إن الثقافة مكوّن أساسي، من مكونات الهوية الوطنية؛ لأنها « ذلك المركب المتجانس من الذكريات، والتصورات، والقيم، والرموز، والتغيرات، والإبداعات، والتطلعات، التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة، أو ما في معناها بهويتها الحضارية » [1].

فالثقافة الجزائرية، هي تعبير عن هوية الشعب؛ لأنها تحمل بين طياتها خصوصية الشعب الجزائري، من خلال عاداته وتقاليده وقيمه ورموزه الوطنية، مثل: العلم الوطني، والعملة الوطنية، وجواز السفر، وبطاقة التعريف...).

كذلك هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية، للشعب الجزائري عن نظرته إلى الكون، والحياة، والموت، والإنسان، ومهامه، وقدراته، وحدوده، وما ينبغي أن يعمل، وما لا ينبغي أن يأمل [2]، فالثقافة تتميز بالخصوصية، لذلك تعتبر الثقافة الجزائرية تعبير عن الهوية الوطنية، وهذه الأخيرة قابلة للتغير والتطور خاصة في شقها المتعلق بالعادات والفنون؛ لأنها أكثر عرضة للحذف والاستعارة من الثقافات الأخرى، والهوية الوطنية بذلك ليست عابرة تظهر ثم تختفي، بل هي إحالة قارة وعملية تحولها، تتم ببطء وبشكل تدريجي وعلى مراحل [3].

---

[1] شريف رضا، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري، ص 58.

[2] محمد عبد الرؤوف عطية،التعليم وأزمة الهوية الثقافية، ص 19.

[3] ينظر : محمد حسين البرغثي، الثقافة العربية والعولمة دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب، ص 122.

3-التاريخ الجزائري:

تزخر الجزائر، بتاريخ حافل بالبطولات، والانتصارات، والتضحيات، فالتاريخ هو: « شعور الأمة وذاكرتها، فإن كل أمة من الأمم تشعر بذاتها، وتكون شخصيتها بواسطة تاريخها الخاص (...)، والمقصود بالتاريخ ليس ذلك المدون في الكتب، وإنما ذلك التاريخ الحي في النفوس الشائع في الأذهان » [1].

التاريخ الجزائري، هو عامل جوهري يشكل الهوية الوطنية؛ لأنه يتفرد به الشعب الجزائري عن غيره من الشعوب الأخرى، فالتاريخ يحمل بين طياته الأرض (الجزائر)، التي تعاقبت عليها أحداث تاريخية كثيرة، وبما أن هذا التاريخ، كتب عن الجزائر، إذن فهو يحمل الهوية الوطنية.

ومن هذا المنطلق، نجد أغلب الأدباء الجزائريين، يعودون إلى تاريخ في كتاباتهم؛ لأنهم يرون أن الشعب الجزائري، يرتبط عاطفيا وذهنيا بالماضي أكثر من ارتباطهم بالحاضر؛ لأن الماضي يمثل البطولات الوطنية، والمثل العليا للجماعة [2].

4- الدين الإسلامي:

يعد الدين الإسلامي، من أهم الركائز التي تقوم عليها الهوية الوطنية؛ لأنه شيء مقدس في نظر الجزائريين، فالدين الإسلامي، هو ركن من أركان البناء الاجتماعي، وإذا ما أردنا أن نعرف الدين، فهو: « ظاهرة اجتماعية في جانبها الموضوعي، يتضمن

---

[1] زهراء عاشور، الهوية اللغوية بين ساطع الحضري و مولود قاسم نايت بلقاسم سؤال الهوية والإنية عند مولود قاسم نايت بلقاسم في ظل العولمة، الملتقى الأول جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر،(د ط)، 2011، ص 213.

[2] ينظر: حسن سالم هندي إسماعيل، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دار الجامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص 30.

العادات، والشعائر والروايات المأثورة، والمعتقدات، والمبادئ، التي تدين بها أمة أو شعب أو مجتمع ما » [1].

إن الدين الإسلامي، له تأثير واسع في المجتمع الجزائري، فهو بمثابة الدستور الذي يحرك المجتمع ؛ لأن تعاليمه تمتد لتشمل « مختلف مجالات الحياة، فهي تنظم علاقة الإنسان بالإنسان وتضبط علاقة الإنسان بالحياة، وكذلك علاقته بالكون الواسع » [2]، فالدين الإسلامي، هو من أهم العناصر المشكلة للهوية الوطنية؛ لأنه يساهم في تعزيز الانتماء للوطن، وبعث الروح الوطنية في نفوس الجزائريين، فهو من أهم الروابط الاجتماعية التي تربط بين الجزائريين.

ومما سبق نلحظ، أن لكل معلم من هذه المعالم له دورا بارزا، في تشكيل الهوية الوطنية، غير أن الهوية لا تتشكل إلا بتضافر هذه المعالم وتفاعلها بعضها مع بعض، والرواية الجزائرية بدورها قد حملت في طياتها إشارات إلى الهوية الوطنية، سواء قبل الاستقلال أو بعده، ومن الأعمال الروائية الجزائرية، رواية " ضحايا الغدر وطوفان الغضب " لمحمد طاهر السحري، التي سنقف إزاءها بالدراسة التطبيقية والتحليل.

---

[1] نبيل محمد توفيق السمالوطي، الدين والبناء العائلي دراسة في علم الاجتماع العائلي، دار الشرق، جدة، السعودية، ط1، 1981، ص 45.

[2] حسن علي مصطفى، نشأة الدين بين التصور الإنساني والتصور الإسلامي،مؤسسة الإسراء للنشر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1991، ص 13.

الفصل الأول:

" الهوية بين ثنائية (الأنا والآخر)- دراسة في الرواية "

- أولا: الهوية بين (الأنا والآخر) قبل الاستقلال:

1- الأنا بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي

1-1- المفهوم اللغوي

1-2- المفهوم الاصطلاحي

2- صورة (الأنا) الشعب الجزائري في الرواية

2-1- صورة الكفاح المسلح والمقاومة

2-2- صورة التضحية والروح الوطنية

3- الآخر بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي

1-1-المفهوم اللغوي

1-2-المفهوم الاصطلاحي

4- صورة (الآخر) المستعمر الفرنسي في الرواية

4-1- تجنيد الجزائريين

4-2- الوعود الكاذبة

4-3- مجازر الثامن ماي 1945

4-4- فتح مدارس فرنسية وتهميش اللغة العربية

- ثانيا: الهوية وجدلية (الأنا والآخر) بعد الاستقلال:

1- نظرة الآخر (الفرنسي) للأنا (الجزائري)

1-1- الحنين إلى الجزائر وأهلها

1-2- اعتراف الآخر بجرائمه في الجزائر

2- نظرة الأنا (الجزائري) للآخر (الفرنسي)

2-1- صورة الاحترام والتقدير للآخر.

2-2- ذوبان الأنا في بوتقة الآخر.

تتجلى الهوية في الرواية بين ثنائية (الأنا والآخر)، ولهذا حاولنا دراستها قبل الاستقلال وبعده، ولعل ثنائية (الأنا والآخر)، تعد من أشهر الثنائيات الموجودة في السرد الروائي؛ حيث تعبر عن الفوارق الموجودة بين الذات من جهة؛ وما هو خارج عنها من جهة أخرى، وقد تعبر عن فرد أو جماعة ما، « والعلاقة بين الأنا والآخر هي الخيط الناسج للنص الإبداعي، فالأحاسيس والمواقف التي تحفل بها الأعمال الأدبية الخالدة تبقى متعلقة في العمق بجدلية الذاتي والغيري »[1]، ويمكن ضبط ذلك كالآتي:

– أولا: الهوية قبل الاستقلال:

1–الأنا بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

1–1–المفهوم اللغوي:

وردت كلمة (الأنا) في (لسان العرب)، " لابن منظور " (أ، ن، ن)، نحو قوله: « اسم مكنيٌ، وهو للمتكلم وحده، وإنّما يبني على الفتح فرقا بينه وبين أن، التي هي حرف ناصب للفعل، والألف الأخيرة إنّما هي البيان الحركة في الوقف، فإن وُسِّطت سقطت إلاّ في لغة رديئةٍ ». [2]

وجاءت في معجم (محيط المحيط)، بمعنى « ضمير رفع منفصل للمتكلم مذكرا ومؤنثا، مثناه وجمعه نحن ». [3]

---

[1] شرف الدين مجدولين، الفتنة والآخر أنساق الغيرية في السرد العربي، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، لبنان، ط 1، 2012، ص 25.

[2] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة (أ، ن، ن)،ص126.

[3] بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، لبنان، (د ط)، 1987، ص 18.

وجاء في المعجم الفلسفي، أن (الأنا) هي: « ضمير المتكلم الواحد، وهو تعبير عن النفس الواعية لذاتها، والأنا هو الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية ».[1]

ومن خلال التعريفات نستنتج أنّ (الأنا): هو ضمير منفصل للشخص المفرد، مصورا ذاته ومعبرا عنها.

1-2-المفهوم الاصطلاحي:

إنّ تحديد مفهوم (الأنا)، ليس بالأمر اليسير، لأنّه يتغير وفقا للعلم الذي، ينتمي إليه فهو: مصطلح مراوغ يستعصي على التعريف والحد الاصطلاحي؛ لأنّه يدخل في مشاركته كبيرة في أغلب فروع العلوم الإنسانية: (الفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، علوم العربية،... الخ). [2]

إن مفهوم (الأنا) متداخل بين عدّة فروع، ففي الفلسفة: « يعكس مفهوم (الأنا) رؤية الذات، ومعرفتها وإدراكها، أما في علم النفس يرتبط بمفهوم الشخصية، وما تتعرض له أو لا تتعرض من الأمراض العصبية، في حين نجد علم الاجتماع، يربط مصطلح (الأنا) بالهوية الاجتماعية، من قيم وتقاليد موروثة ومكتسبة ». [3]

---

[1] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط 5، 2007، ص 95.

[2] ينظر: عباس يوسف حداد، الأنا في الشعر الصوفي (ابن الفارض أنموذجا)، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط 2، 2009، ص 187.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

في حين يرتبط (الأنا)، في العلوم العربية « على المستوى النحوي، بمنظومة الضمائر »[1]؛ أي أننا نقصد به الشخص المتكلم، الذي يعبّر بهذا الضمير عن نفسه، ويعرّف " أحمد ياسين السليماني " (الأنا)، على أنّه: « ضمير متكلم قائم بذاته ولذاته لا ينازعه، أو يشاركه في ذاتيته، وبصفته آخر فهو مستقل عن غيره، وإنْ كان منتجاً له وناتجا عن علاقته به ».[2]

وعلى هذا الأساس، نجد أنّ مفهوم (الأنا)، جاء بمعنى الاستقلالية، والتميز عن الآخر، وهناك تداخل بين ثلاثة مصطلحات عند الفلاسفة العرب، (الأنا، والنفس والعقل) يقول " عباس يوسف حداد ": « تطابقت (الأنا) بوصفها نفسا مع الذات المفكرة، بوصفها عقل، وقد تأرجحت الأنا بين العقل والنفس في الفلسفة العربية، حتى أصبحت أقرب إلى النفس منها إلى العقل ».[3]

ربط الفلاسفة العرب مصطلح (الأنا) بالنفس، فَهُما كلمتان تدلان على الشيء نفسه، ونستنتج من خلال هذه التعريفات، أنّ مفهوم (الأنا) متغير وغير ثابت، وهذا نظرا لتواجده في العديد من العلوم.

نجد صورة (الأنا) في الرواية جاءت بصوتين، صوت (الأنا) الجماعي، المتمثل في الشعب الجزائري وكفاحه قبل الاستقلال، وصوت الأنا الفردي، ونظرته للآخر بعد الاستقلال.

---

[1] المرجع السابق، ص ن.

[2] أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 1، 2009، ص 404.

[3] عباس يوسف حداد، الأنا في الشعر الصوفي (ابن الفارض أنموذجا)، ص 192.

2- صورة (الأنا) الشعب الجزائري في الرواية:

تزخر الرواية، بعدد هائل من الصور المعبرة عن الهوية الوطنية خاصة ما تعلق بالجانب التاريخي للشعب الجزائري؛ لأنّ ما تعرض له الشعب من ظلم، ومعاناة خلال الفترة الاستعمارية، تجعل كل فرد جزائري يفتخر ببطولات، وتضحيات الشهداء الأبرار.

حاول السارد، في رواية " ضحايا الغدر وطوفان الغضب "، تسليط الضوء على بعض الأحداث التاريخية، التي تمثل الهوية الوطنية، وتبدأ أحداث هذه الرواية عند زيارة السارد لمدينة سطيف، ومحاولته الوقوف عند أهم اللحظات التاريخية التي مرّت بها هذه المدينة ومن بين الصور التي اسْتَوْقَفته، نذكر:

2-1- صورة الكفاح المسلح والمقاومة:

لقد عانى الشعب الجزائري من ويلات الاستعمار، من خلال القتل، والتشريد، والمجازر المتكررة، فمجازر الثامن ماي 1945، كانت دليلا واضحاً على غدر المستعمر، وعدم الوفاء بعهوده، وبعد أن تأكد الشعب أنّ الحرية لا تضح بسهولة، بل يجب النضال، والمقاومة للوصول إليها، ومن المقاطع التي تعبر عن الثورة، والكفاح المسلح، قول " السارد ": « تعال أنّها الزائر لترى قريتنا الصامتة، قرية خالدة فيها نحيا، ونعيش بين أحضانها في أمن، ونتبادل ذكريات أيام الكفاح وبها نتسلى، ذكريات أهملها الرفاق وكأنّها لم تكن » [1] فالسارد هنا يعاتب أبناء الوطن؛ لأنّهم لم يهتموا بهذه الذكريات العظيمة؛ لأنّها « معالم وآثار أزالتها أياد آثمة حتى لا تبقى شاهدة على بطولات الأبطال

[1] محمد الطاهر سحري، ضحايا الغدر وطوفان الغضب، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، (د ط)، 2008، ص 3.

وحجة على من أجْزم في حق هذا الوطن وشعبه، شعب خاض حربا قلّما عرف العصر أمرّ منها ». [1]

إنّ غضب الجزائري إزاء الوضع المُزري، الذي كان يعيشه جعله يقاوم المستعمر الفرنسي ويكسر، قيد العبودية في أوّل نوفمبر أربعة وخمسين، هذا اليوم شهد عليه المعمرون أيضا، الذين كانوا في الجزائر، و" جزاف " من المعمرين بتذكر ما حدث في ذلك اليوم؛ حيث نجده يصف ذلك، فيقول: « طوفان كالسيل العارم اجتاحنا على غرة (...)، تفجرت سيوله الجارفة من جبال الأوراس وجبال القبائل، وكل الجبال الممتدة على الساحل، من الوسط إلى الشرق ». [2]

ويتذكر بعدها سنة سبعة وخمسين؛ حيث « اشتد القتال بين الجيش الفرنسي، ورجال الثورة في كامل المناطق الجبلية المحيطة بسطيف، وخاصة الجبال المتاخمة لأولاد تبان، وبني عزيز وعموشة وجبل بوطالب ». [3]

هذه الثورة لم يشهد عليها الشعب الجزائري فقط، بل حتى الأماكن فهي تخلدها، وتعظمها لسمو غايتها، ونضال رجالها « فلا ريب في أن للمكان أثرا في التعبير عن الهوية، فالحياة الإنسانية تعد خلاصة للظروف، والبيئة المحيطة به، والتاريخ والعادات والتقاليد، والأعراف، فمن خلال المكان يمكن التعبير عن مدى التمسك بالهوية »[4].

---

[1] الرواية، ص 3.

[2] الرواية، ص 62.

[3] الرواية، ص 64.

[4] إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية ناشرون، الجزائر، ط 1، 2010، ص 141.

نجد الهوية الوطنية، تتجلى من خلال صورة الكفاح المسلح والمقاومة، التي خاضها الشعب الجزائري ضد العدو الفرنسي، فهذه الصورة هي تعبير عن حب الوطن، الذي يمثل معلماً أساسيا للهوية الوطنية، فالشعب الجزائري بكفاحه المسلح، حاول حماية جميع رموزه، التي تعبر عن هويته وأصالته الموروثة منذ القدم، كالأرض، والدين، والثقافة، ... وهذه المقاومة جاءت نتيجة محاولة المستعمر الفرنسي؛ لطمس الهوية الجزائرية، باعتبار الجزائر قطعة فرنسية، وأبناؤها فرنسيين.

إنّ هذا الوضع لم يُرْضِ الجزائريين؛ لأنّهم رأوا أنّ هويتهم تختلف عن هوية (الآخر) المستعمر، ورغم محاولة فرنسا فرض ثقافتها بقوة السلاح إلاّ أنّ أبناء الجزائر لجؤوا إلى المقاومة للدفاع عن معالم هويتهم خاصة الأرض التي سلبها الاستعمار الفرنسي.

2-2- صورة التضحية والروح الوطنية:

إنّ ثمن استقلال الجزائر، كان باهضا على أبنائها، والتاريخ يشهد الحرب الضارية التي « خاضها رجال واستشهد جلّهم في ساحتها خاضوها من أجل حرية الوطن وكرامة شعب دفع بخيرة أبنائه في نار هذه الحرب ». [1]

مدينة سطيف شاهدة على المجازر، التي ارتكبها المستعمر في حق أبنائها، إلاّ أنّ حبّهم لهذه الأرض الطاهرة، جعلهم يتسابقون إلى الشهادة، وفي هذا السياق يقول " السارد ": « ورغم حبك إيّاهم ضحيت بهم من أجل حب الجزائر (...)، صنعوا تاريخك وخلدوك بين صفحات كتاب الجزائر، كتاب الأجداد والأمجاد، كتاب البطولات والتضحية بكل شيء من أجل الجزائر ». [2]

---

[1] الرواية، ص 3.

[2] الرواية، ص 5.

ثم يمضي " السارد " في تذكر ذلك اليوم، الذي خلّده التاريخ الجزائري، والذي راح ضحيته الكثير من أبناء الوطن، وهو الثامن ماي 1945، فهو: « يوم الطوفان الذي أراد القدر أن يختلط فيه الدمع بالدم، وأن يجتاح سيله الأحياء والأنهج والشوارع والساحات، ويغمر القرى المجاورة لمدينة سطيف ». [1]

في هذا اليوم المشؤوم، سالت دمّاء الكثير من الأبرياء، بطرق وحشية، لا لشيء سوى أنّهم طالبوا المستعمر بالوفاء بعهده، ومنح الجزائر استقلالها، وكل ما حدث في هذا اليوم، ما هو إلاّ قصة طويلة لمدينة سطيف، وأحداث متسلسلة لمدينة الشهداء الذين « تبرعت بحياتهم على هذا الوطن، تبرعت بهم وأنت تعلمين أنّ كل واحد منهم، يحمل في صدره أكثر من قصة (...)، واستشهادهم قصة، والمؤسف أنّهم رحلوا، دون أن نعرف الكثير من قصصهم ». [2]

وفي رحلة البحث التاريخي، التي بدأها " السارد " من مدينة سطيف، يتجه بعد ذلك إلى مدينة خراطة، التي كانت جزء من المجازر، التي ارتكبها المستعمر الفرنسي في الثامن ماي 1945، فيقول عنها: « خراطة التي اخترتها كانت هي أيضا مدينة من مدن الشهداء، شهداء الثامن ماي وشهداء من قدموا أرواحهم فداء للوطن في حرب التحرير، شهداء كانوا يدركون أنّ الموت يتربص بهم في كل يوم ». [3]

---

[1] الرواية، ص 6.

[2] الرواية، ص 9.

[3] الرواية، ص 22.

إنّ مأساة قالمة، وسطيف، وخراطة في الثامن ماي 1945، ستظل راسخة في أذهان الجزائريين المحبّين للوطن؛ لأنّها تمثل الوجه الحقيقي للاستعمار الفرنسي للجزائر، كما تحكي قصة شعب اختار لتضحية في سبيل الوطن.

إنّ صورة التضحية في الرواية نابعة عن المرجعية الدينية، وهو الدين الإسلامي، الذي يعد أساس الهوية الجزائرية، فالجهاد في سبيل تحرير الوطن، واجب على كل جزائري غيور على وطنه؛ لأنّه يُؤمن بأنّ الشهيد ذو منزلة عالية عند ربّه، لذلك فإنّ الشهادة هي تعبير عن الهوية الجزائرية الإسلامية.

صورة (الأنا)، الشعب الجزائري قبل الاستقلال في الرواية، ما هي إلاّ تعبير عن التاريخ، والدين، والأرض، وكل هذه العناصر هي من مكونات الهوية الوطنية، فصورة (الأنا)، هنا جماعية في مواجهة هوية مختلفة عنها، تحاول فرض سيطرتها، وطمس الهوية الجزائرية، عن طريق المساس بمختلف مقدساتها، وهذه الهوية الدخيلة تسمى بهوية (الآخر) المستعمر الفرنسي.

3- الآخر بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

3-1- المفهوم اللغوي:

جاء في (لسان العرب) " لابن منظور " في مادة (أ،خ،ر) أنّ: « الآخر بمعنى غير كقولك رجلٌ آخرٌ، وثوب آخرُ، وأصله أفْعَلُ من التَأَخُّر، فلمّا اجتمعت همزتان في حرف واحد اسْتُثْقِلَتَا فأُبدلت الثانية ألفا لسكونها، وانفتاح الأولى قبلها (...)، والجمع بالواو والنون، والأنثى أخرى، (...) والجمع أخريات وأُخَرُ ». [1]

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مج 1، مادة (أ خ ر)، ص 47.

كما ورد معنى الآخر، في معجم (محيط المحيط)، بأنّه: « في الأصيل الأشدّ تأخُّرا في الذكر ثمّ أجرى مجرى غير، ومدلول الآخر، وآخَرْ معه، لم يكن الآخر إلاّ من جنس ما قلته، جمعها آخرون والأنثى أخرى، جمعها أُخْرَيَاتْ وأُخَرْ، وقولهم جاءني في أخريات النّاس، وخَرج في أوْلَياتِ الليل يعنون به: الأواخرُ والأوَائِلُ ». [1]

ومن خلال هاتين التعريفين نستنتج أنّ (الآخر)، جاء بمعنى المخالف، والغير والمعارض، فكل شخص مختلف في شيء ما فهو آخر.

3-2- المفهوم الاصطلاحي:

إنّ تحديد مفهوم (الآخر) ليس بالأمر السهل؛ لأنّه يحتل مكانة بارزة في تاريخ الفكر، كما في العلوم الإنسانية، نظرا لارتباطه الجدلي بموضوعات أساسية، ملازمة: (الأنا، والذات والهوية، والصورة، والسلوك، والعلاقة... الخ)، والغير مرادف الآخر والآخرين، وهو اسم جمع لا مفرد، فيصير الآخر بالمفرد والجمع، الذي نعيش معه تجارب، مثل: (القرابة، والصداقة والجوار) أو مثل (المنافسة، والخصومة، والعداء...) وهذه التجارب، وسواها، تحدد بتنوعها واختلالها طبيعة العلاقات ودرجاتها إما على صعيد الوعي أو في حقل السلوك والفعل. [2]

ونستطيع القول، أن كل الدراسات تتفق على، أنّ الآخر هو: « الغير سواء أكان الخصم الذي اصطدم مع الذات وتمرد عليها، أم كان صديقا تعاطف معها، وانجذب نحوها، وبادلها حبا بحب، فإنّه في كلا الحالتين لا يستطيع (الأنا) العيش دون (الآخر)، سواء أَقُلْنَا مع " سارتر "، (1905-1980): (إنّ الجحيم هو الآخر

---

[1] بطرس البستاني، محيط المحيط، ص 5.

[2] ينظر: بن سالم حميش، في معرفة الآخر، دار الحوار، سوريا، ط 2، 2003، ص 5.

" الغير ")، أم قلنا مع " جوتة " (1749–1832)، (إنّه ليس ثمة عقاب أقسى على المرء، من أن يعيش في الجنّة بمفرده) ». [1]

إنّ وجود (الآخر)، لا يتأتى إلاّ من خلال (الأنا)، فهناك تلازم بين المفهومين، إذ أنّ (الآخر)، هو: « بنية لغوية رمزية، ولا شعورية تساعد الذات على تحقيق وجودها، ضمن علاقة جدلية بين الذات ومقابل لها » [2]، إذا (الآخر) هو كل ما كان موجوداً، خارج الذات ومستقلا عنها إلاّ أنّ مفهوم (الآخر)، لا يكتمل إلاّ بتحديد ماهية (الأنا)، كذلك الذات فهي لا تتشكل إلاّ من خلال (الآخر)، وتعتبر هذه الثنائية من أبرز الثنائيات التي ظهرت منذ القِدم.

4- صورة (الآخر) المستعمر الفرنسي في الرواية:

ارتكب المستعمر الفرنسي العديد من الجرائم، التي لا تمت للإنسانية بصلة، وحاول بقدر المستطاع طمس هوية الشعب الجزائري، ونجد في الرواية العديد من المقاطع، التي تعبر عن هوية المستعمر الفرنسي في الجزائر، ومن بين هذه المظاهر نذكر:

---

[1] فاضل أحمد القعود، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي (دراسة نصية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2012، ص 34.

[2] محمد خمار، صورة الآخر في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2012، ص 21.

4-1- تجنيد الجزائريين:

أشار السارد إلى مسألة حساسة في تاريخ الجزائر، وهي التجنيد الإجباري، الذي طال أبناء الجزائر خلال الحربين العالميتين الأولى، والثانية، ويقول السارد مخاطبا فرنسا، « ألا يكفي أنكم دفعتم بهم، إلى الصفوف الأمامية، في كل حرب كانت لكم فيها يد؟ ». [1]

رغم أنّ الحرب الدائرة لا علاقة لها بالجزائريين، إلاّ أنّ فرنسا أجبرت أبناء الجزائر على القتال معها، مقابل الحرية المزعومة، ثم يذكّر السارد فرنسا بما فعلته في الحرب، ويقول: « وكنتم تتخذون من أجسادهم دروعا، لحماية أبنائكم من رصاص عدوكم وقنابله، أنسيتم الحرب العالمية الأولى والثانية، عندما كان الفرنسي والجزائري في خندق واحد، وتحت علم واحد وهو علم فرنسا ». [2] علم تحته « يسعد الفرنسيون ويشقى الجزائريون، وباسمه يعذبون ويقتلون، أهذه حضارتكم، وعدالتكم وقوانين شريعتكم أيّها الحكام؟! » [3].

لقد مات الجزائريون في الحربين الأولى، والثانية، تحت العلم الفرنسي، ورغم ذلك لم تقدّر فرنسا هذه التضحية الجسيمة، فميّزت بين الأموات؛ لأنّها كانت تكرّم جنودها وتضع لهم نصب تذكارية، أمّا أبناء الجزائر الذين وَافتهم المنيّة مع أبنائهم، « لا قبر

---

[1] الرواية، ص 7.

[2] الرواية، ص ن.

[3] الرواية، ص ن.

لهم يُزار، ولا نُصب تذكاري يعرّفنا بهم ولا مَعلم يدلنا على المكان الذي سقطوا فيه، وكل ما هناك أنّهم في عِداد ضحايا الحرب الأولى والثانية ». [1]

إنّ " السارد " ناقم على السياسة العنصرية، التي اتبعتها فرنسا في التمييز بين ضحايا الحرب، ويسأل فرنسا، « ماذا فعل أبناء الجزائر حتى فعلتم بهم هكذا؟! دفعتم بهم في الصفوف الأولى ليسقطوا قبل سقوطكم في ساحة صراعكم مع عدوكم ». [2]

عانى الجزائريون من غطرسة المستعمر، وإجبارهم على الدخول في حرب، لا ناقة لهم فيها، ولا جمل، إلاّ لشيء واحد وهو وعد فرنسا لهم بنيل الحرية، ولكن كانت تضحيتهم بلا فائدة لأنّ فرنسا لم تلتزم بوعودها اتجاه أبناء الجزائر.

إنّ تجنيد الجزائريين، هو جزء من مخطط فرنسي لإذابة هوية الشعب الجزائري، داخل الهوية الفرنسية؛ لأنّ الدفاع عن الوطن (فرنسا)، هو مسؤولية الجيش الفرنسي، ولا علاقة للجزائريين بهذه الحرب، وبالتالي هذا دليل واضح على محاولة المستعمر الفرنسي، بجعل الجزائريين أتباع لفرنسا، من خلال الزّج بهم في مختلف القضايا، التي لها علاقة بفرنسا.

4-2-الوعود الكاذبة:

إنّ الجزائر، كانت آنذاك حقلا من حقول فرنسا الزراعية، كما ورد في المقطع السردي: « أبناؤها قطعانا بشرية تساق إلى المذابح، من أجل أن تحيا فرنسا » [3]، وعند انتصارها نسيت وعدها للجزائريين، والمتمثل في منحهم الحرية، ويذكر " السارد " فرنسا بذلك

---

[1] الرواية، ص 7.

[2] الرواية، ص 8.

[3] الرواية، ص ن.

في قوله: « ولمّا انتصرتم قدمتموهم قربانا لآلهة الشر، كي ترضى عنكم، قدمتموهم وقودا لحربكم (...)، ومن سلم من الحرب بالأمس لم يسلم من عنصريتكم، وغدركم، وحقدكم، بعد نهاية الحرب ». [1]

إنّ انتهاء الحرب، بالنسبة للجزائريين، كانت مفتاحا للسعادة وللحرية؛ لأنّهم كانوا يظنون أنّ فرنسا ستمنحهم حريتهم، لكن كانت الفاجعة كبيرة، فهذه الدولة العظمى التي تنادي بكل القيم الإنسانية، نكثت بوعدها ولم تمنح الجزائريين الاستقلال، وحوّلت فرحتهم إلى مجازر بشعة راح ضحيتها الآلاف من الأبرياء، في الثامن ماي 1945، ارتكبت هذه المجازر، ضد شعب أعزل خرج ليطالب بحقه في الحرية، التي وعدته بها فرنسا عند انتهاء الحرب.

4-3- مجازر الثامن ماي 1945:

أقدم المستعمر الفرنسي، على ارتكاب مجازر إنسانية، في الثامن ماي 1945، ضد شعب أعزل، لا يملك سوى المطالبة بحقه في الحرية، والكرامة، وفي الرواية مقاطع معبرة عن هذه المجازر، سواء ما جاء على لسان " السارد "، أو بعض الشخصيات، فنجد " السارد " يخاطب مدينة سطيف بقوله: « يا زائر أرض الشهداء، تمهل فأنت على الرفاة تسير، تمهل لترى آثار مأساة وتسمع قصةً، قصة أبرياء الثامن من ماي، أبيحت دماؤهم ». [2]

مجازر الثامن ماي 1945، قُتل فيها الشاب والكهل، الشيخ والطفل، ولم ينج الرضيع والمريض، يوم تلته أيام سوداء، عَمَّ فيها الفزع وانكشف الغدر، ليسأل

---

[1] الرواية، ص 8.

[2] الرواية، ص 1.

" السارد " المستعمر، بقوله: « لماذا غدرتم بأبناء الجزائر يوم الثامن ماي 1945، بإحكام الاستعمار الفرنسي؟ » [1]، ثم يواصل سؤاله: « لماذا أطلقتم أسراب غربانكم، على من جاؤوا يشاركونكم فرحتكم بالنصر؟!، غربان مزقت أوصال الأطفال وبقرت بطون الحوامل ». [2]

ونلحظ شخصية " جزاف "، وهو من المعمرين الفرنسيين، الذين ولدوا في الجزائر؛ حيث يتذكر ذلك اليوم الدموي، الذي كان هو جزء من الوحوش البشرية، التي فتكت بأبناء الجزائر إلاّ أنّه يعترف بخطئه، ففي الثامن ماي 1945، « ينفجر الحقد الذي كان يعشش في صدور أعداء أبناء الوطن منذ سنين، ويسوقني تياره الجارف أمامه، ويحوّلني إلى وحش جريح يفترس، كل من حوله حتى النساء، والأطفال، والشيوخ ». [3]

المعركة لم تكن متكافئة؛ لأنّ المستعمر استعمل كل أنواع الأسلحة، ضد شعب أعزل، لا يملك وسيلة للدفاع عن نفسه؛ لأنّه لم يكن ينتظر هذا الموقف العِدَائي من فرنسا، يقول " جزاف ": « رصاص كان يطلق من بنادق الشرطة الفرنسية، ورجال الدرك، والمعمرين، وغيرهم من أبناء الجاليات الأوروبية المنضوية، تحت الجنسية الفرنسية، لكنني لم أشاهد أي جزائري من القتلى أو الفارين، يحمل في يده بندقية أو وسيلة أخرى من وسائل القتل ». [4]

---

[1] الرواية، ص 7.

[2] الرواية، ص ن.

[3] الرواية، ص 57.

[4] الرواية، ص 58.

إنّ مجازر الثامن ماي 1945، في سطيف، وقالمة، وخراطة شاهدة على وحشية المستعمر الفرنسي، وانتهاكه لمختلف القيم الإنسانية، التي كانت تدعو إليها الثورة الفرنسية من عدل، ومساواة، وحرية...

بالإضافة إلى ذلك، فهذه المجازر كانت الغاية منها، هو طمس الهوية الجزائرية، وإخماد شرارة الغضب، التي ميزت الجزائريين في تلك الفترة، ففي الثامن ماي 1945 خرج الجزائريون للمطالبة بأرضهم، التي هي جزء من هويتهم، إلاّ أنّ فرنسا حاولت طمس هذه الهوية باستعمال السلاح، ضد الشعب الجزائري، الذي يطالب بالسيادة الوطنية على أرضه.

4-4- فتح مدارس فرنسية وتهميش اللغة العربية:

تتجلى في الرواية صورة (الآخر) فرنسا، التي تسعى إلى تهميش اللغة العربية، بفتح مدارس فرنسية، ويمكن توضيح ذلك من خلال حدث انتقال الطفلة، إلى منزل " جزاف " المعمر الفرنسي، الذي طلب من زوج عمتها، أن تدرس مع ابنته " صوفيا "، « واختار مدرسة من المزرعة، وهي التي تدرس بها صوفيا » [1]، وهذا دليل على أنّ المدرسة، تقوم بتعليم اللغة الفرنسية؛ لأنّ " صوفيا " تتكلم بالفرنسية، فالمدرسة آنذاك كانت « من حق أبناء الأوروبيين وأعوانهم من الجزائريين، وقلّ من يدخلها أو يفكر فيها من أبناء عامة الشعب ». [2]

فرنسا كانت تهتم بنشر اللغة الفرنسية، وتعليمها في المدارس، من أجل طمس الهوية الوطنية، وتعد اللغة العربية أحد أركانها، وهذا ليس بجديد على فرنسا؛ لأنّها كانت تنظر

---

[1] الرواية، ص 24.

[2] الرواية، ص 25.

إلى الجزائر، على أنّها قطعة من فرنسا، وبالتالي فاللغة الفرنسية هي لغة التعلم، والتعليم؛ حيث دخل " مختار " والزهراء " إلى المدرسة، و« اختلطا بأبناء الأوروبيين والأثرياء، وأصحاب الجاه من الجزائريين، وجمعت بينهم غاية التعلم، والاستعداد للمستقبل، والتزوّد بزاد من المعرفة يساعدهم على إتقان كل عمل يسند إليهم، ويضمن لهم حياة سعيدة ». [1]

حاولت فرنسا، نشر لغتها في الجزائر، بين المعمرين والموالين لها من الجزائريين، إلاّ أنّها نسيت عامة الشعب، الذين حافظوا على لغتهم العربية وتمسكوا بها؛ لأنّها منبع هويتهم العربية من خلال الزوايا والحلقات الدينية.

نجد في الرواية، أنّ صورة فرنسا (الآخر) قبل استقلال الجزائر، هي صورة تميزت بالظلم، والوحشية، والاستبداد، وهذا نظرا لكل الجرائم، التي قامت بها فرنسا في الجزائر، وتتجلى الهوية من خلال محاولة (الآخر)، طمس الهوية الوطنية، وبذلك يمكن توضيح الهوية بين ثنائية: (الأنا)، الشعب الجزائري، و(الآخر)، المستعمر الفرنسي، قبل الاستقلال كما في الشكل الآتي:

[1] الرواية، ص 25.

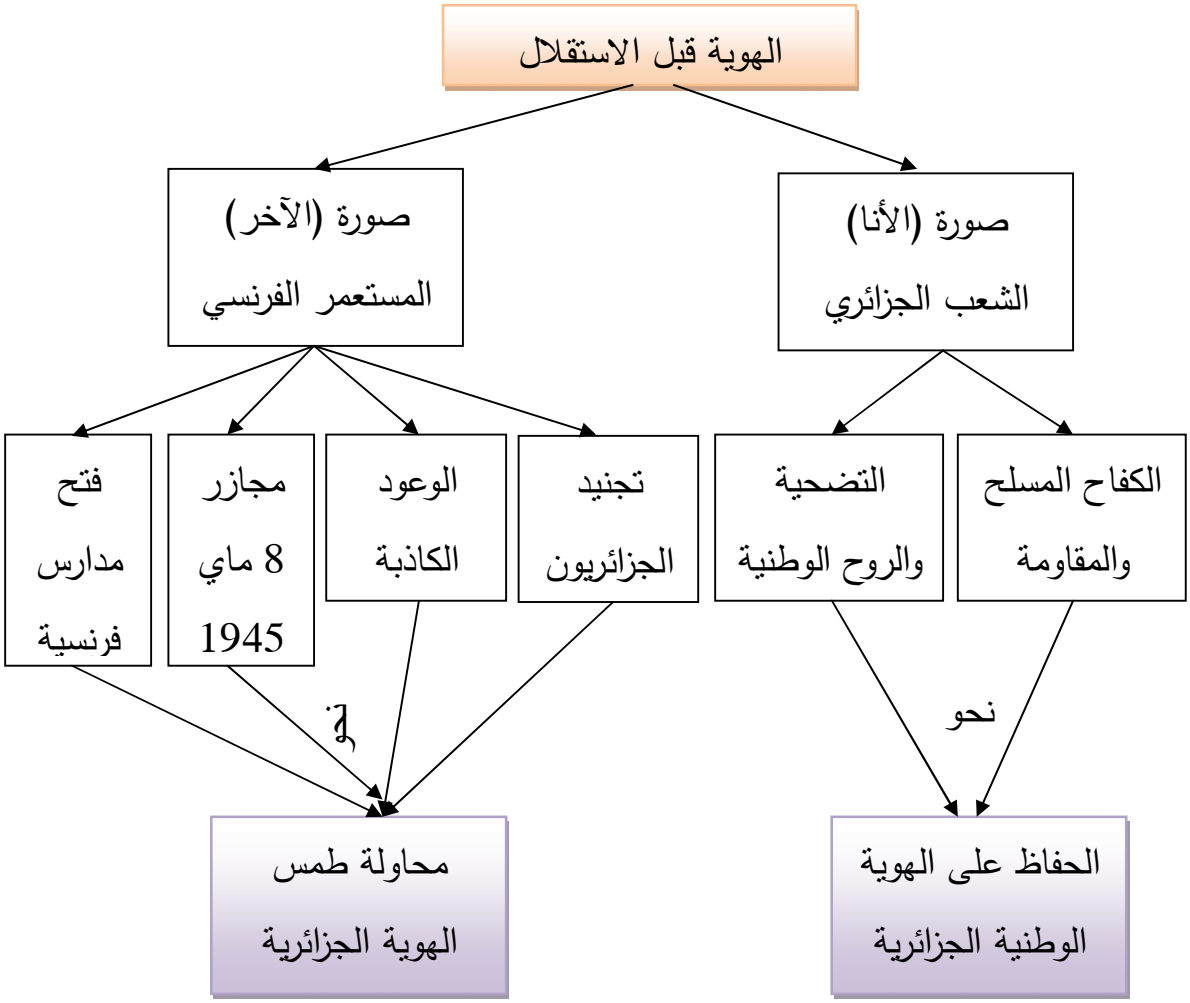

– ثانيا: الهوية وجدلية الأنا والآخر في الرواية بعد الاستقلال:

يشرع " السارد " في عملية جمع المعلومات، في زمن الحاضر بعد الاستقلال وذلك بالانتقال من مكان إلى آخر، لجمع أدق التفاصيل عن مجازر الثامن ماي، وهو الحدث التاريخي في زمن الماضي قبل الاستقلال، لذلك نجده يفتح دفاتر الماضي، ثم يعود بنا إلى الحاضر، أثناء بحثه وحواره مع " الزهراء "، وبذلك فالكشف عن الهوية في سرد تفاصيل مجازر الثامن ماي قبل الاستقلال وبعده، من خلال علاقة (الأنا) الشعب الجزائري، (والآخر) الاحتلال الفرنسي، ومن دراسة الهوية قبل الاستقلال نحاول استخلاص الهوية بين جدلية الثنائية بعد الاستقلال، كالآتي:

1- نظرة الآخر (الفرنسي) للأنا (الجزائري):

تتجلى هذه الصورة من خلال شخصية " جزاف "، و" كلود "، و" صوفيا "؛ حيث تميزت هذه النظرة بجانبين، هما:

1-1-الحنين إلى الجزائر وأهلها:

-شخصية صوفيا:

الجزائر التي قضت فيها عائلة " جزاف "، أجمل لحظات من حياتها، فرغم الجو الدموي الذي ميّز تلك الفترة في الجزائر إلاّ أنّ " جزاف "، و" صوفيا "، كانا في اشتياق كبير للمكان، الذي عاشا فيه، فالشخصيات « تختلف في وجهات النظر ومستوياتها الثقافية والفكرية، فإنها تنظر إلى المكان نظرة مختلفة تشخصه بلغتها التي تعبر عن تصوراتها »[1]، وليس الحنين للجزائر فقط بل كان " للزهراء "، وعائلتها المقيمة بمدينة سطيف، فما إن علمت صوفيا بأنّ " السارد " جاء من قبل " الزهراء "، حتى « قامت والرسالة بين يديها، والدمع يترقرق في مقلتيها، وقالت: هذه نسخة من رسالة أرسلتها إلى زهراء منذ سنين؟ زهراء لا تزال على قيد الحياة؟، يا لها من بشرى سعيدة! كيف حالها الآن؟ أهي بخير ». [2]

إنّ حب " صوفيا " لـ " الزهراء " لا يزال في قلبها، وكيف لا وهي صديقتها، التي لطالما رافقتها إلى المدرسة واهتمت بها في منزلها، ولمْ تتوقف " صوفيا " عن سؤال " السارد " عن حالة الزهراء، وكيف قضت السنين الماضية، وما هي وضعيتها الاجتماعية.

---

[1] الشريف حبيلة، مكونات الخطاب السردي مفاهيم نظرية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2011، ص 46.

[2] الرواية، ص 38.

إنّ نظرة " صوفيا " لـ " الزهراء "، كانت تحكمها الشفقة، فهوية " صوفيا " الفرنسية، تجعلها تشعر بهذا الإحساس؛ لأنها ترى أن بلدها كان سببا في تصدع هوية فتاة بريئة، وجَعْلِهَا يتيمة قبل أن ترى والديها.

تعود صوفيا، بعد ذلك، إلى تذكر رحلة أسرتها من الجزائر إلى فرنسا، وتقول: « أسرة عاشت حياتها ترحالا لا تعرف استقرارا، وغادرت الجزائر قبل أن تنتهي رحلة الاستعمار الفرنسي، من الجزائر إلى فرنسا سنة 1962، انتهت رحلتنا التي كان لابد عليها أن تنتهي ولو تأخرت، لأنّها جزء من رحلة الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر ». [1]

إنّ هذه الرحلة تحمل الكثير من الأوجاع؛ لأنّ أسرة " جزاف" عانت من الغُربة في بلدها فرنسا؛ لأنّها اعتبرت الجزائر موطنها الأصلي، فهذه الأسرة ولدت في الجزائر، وترعرعت فيها واختلطت بسكانها، وعايشت كل الأحداث التي عاشتها الجزائر.

إنّ هذه النظرة التي ترى أن الجزائر هي قطعة فرنسية تحكم كل فرد فرنسي، وهي جزء من هويته الاستعمارية للجزائر؛ لأنه يرى أن أرض الجزائر ملك له.

-شخصية جزاف:

ليست " صوفيا " وحدها التي تحمل هذه المشاعر، فوالدها " جزاف " أكبر المتضررين من مغادرة الجزائر، لقد ترك كل ما يملك في الجزائر خاصة مزرعته في سطيف، وعند مقابلة " جزاف " " السارد "، قال له: « هل حدثتك زهراء عن مزرعتي عندما كانت تعتبر روضة من رياض سطيف، وبساتينها جنة من جنانها؟ ». [2]

---

[1] الرواية، ص 54.

[2] الرواية، ص 46.

فهذا السؤال، هو تعبير عن حنين، واشتياق " جزاف " إلى الجزائر، وخاصة مدينة سطيف التي عاش بها فترة طويلة.

كلود زوج " صوفيا "، يرى أنّ مزرعة " جزاف "، « واحدة من آلاف المزارع، التي كان يملكها الأوروبيين، وأصبحت الآن في أيادي أبناء الوطن »[1]، تتجلى نظرة الآخر إلى الجزائر باعتبارها تابعة لفرنسا، ومن حقهم امتلاكها، أما نظرة الجزائريين فالأرض تعود إلى أصحابها الحقيقيين.

إنّ الجزائر بالنسبة لـ " جزاف "، كانت أحسن بلد، فهو يقول: « بعد رحيلنا فقدنا كل شيء، فقدنا وجودنا في أحسن بلد كان يطيب لنا فيه المقام، بلد كنّا نريد الاحتفاظ به بالقوة فقُذِفْنَا خارج حدوده بقوة أكثر من قوتنا، قُذِفْنَا بقوة الحق قوة تحدث قوة الباطل التي كنا نعتمد عليها ».[2]

إن الهوية الفرنسية، تغلب على شخصية " جزاف "، الذي يتحسر على فقدان الأرض (الجزائر)، التي كانت منجما من ذهب يستغلها الفرنسيون للعيش في رخاء، بينما أبناء الوطن الحقيقيين عاشوا الفقر والحرمان.

فالحب والحنين إلى الجزائر، صورة لا تفارق مُخيلة " جزاف "، ففي حواره مع " السارد " يقول: « الأمّ لا تنسى أبنائها أبدا مهما تعددت الحواجز، حتى وإن نسوها

---

[1] الرواية، ص 47.

[2] الرواية، ص 48.

أو تناسوها فهي لا تنساهم مهما طال غيابهم عنها، وها هي سطيف الأم الحنون ترسلك إليّ لتعود إليها بأخباري، وبدون شك أنّها تعاقبني على حماقتي يوم غادرتها ». [1]

1-2-اعتراف الآخر بجرائمه في الجزائر:

ويتجلى هذا الاعتراف من خلال الشخصيات الروائية؛ حيث نجد في الرواية أنّ الشخصيات الفرنسية، تعترف بجرائم دولتها في الجزائر، ونلمح ذلك من خلال الحوار، الذي كان يدور بين " السارد "، و" صوفيا "، و" جوزيف "، و" كلود " زوج " صوفيا ".

-شخصية كلود:

هو ضابط في المشاة أحيل إلى المعاش منذ سنة فقط، وكان من بين الضباط الذين شاركوا في الحرب الجزائرية الفرنسية، إلاّ أنّ يحمّل مسؤولية ما حدث إلى حكام فرنسا، ويقول: « المسؤولية التاريخية فيما حدث تقع على عاتق حكام الاستعمار الفرنسي في الجزائر، استعمار كانت له قوانين جائرة، وأهداف استغلالية ككل استعمار في العالم، أما نحن كأفراد شاركنا في صنع هذه الأحداث (...)، لذا علينا أن نعترف بأخطائنا ولا ننكر ما سجله التاريخ علينا، ومن يحاول منا أن ينكر فهو غير عاقل ». [2]

" كلود " يعترف بجرائم فرنسا في الجزائر، وهذا دليل على اعترافه بالهوية الجزائرية، التي حاول المستعمر الفرنسي طمسها، ولا يقف عند هذا الحد بل يبارك الثورة، التي قام بها الجزائريون لاسترداد الحرية، التي سُلبت منهم، ويقول: « وكل ما أقدمنا

---

[1] الرواية، ص 46.

[2] الرواية، ص 44.

عليه آنذاك كان بدافع الكبرياء بالرغم من انهزامنا في الصراع، الذي كان يدور بيننا وبين شعب يطالب باسترداد استقلاله وحريته سلبناه وإيّاها يوم غزونا الجزائر، واستبعدنا شعبها الطيب وها هي النتيجة والاعتراف بالحق فضيلة كما يقال ». [1]

نلمس في اعتراف " كلود "، بجرائم فرنسا الندم والاعتراف بالهوية الجزائرية، كما أنه يعترف بالهوية الفرنسية الرامية لاحتلال الجزائر، واستعباد شعبا وطمس هويته.

-شخصية صوفيا:

وتشاطره الرأي زوجته " صوفيا "، التي تحمّل الاستعمار الفرنسي مسؤولية المجازر والخراب الذي حصل في الجزائر، وتقول: « ها هي رحلة الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر تنطلق سنة 1830، وتنتهي سنة 1962، رحلة تحمل الموت، والتخريب، والتدمير عند انطلاقها (...)، وكل ما حدث في بداية هذه الرحلة، وأثناء فترتها، وعند نهايتها محسوب على فرنسا وحدها ». [2]

هذه الرحلة، التي بعثرت حياة الشعب الفرنسي، وعلمته القساوة والتباهي بالقوة، علمته الظلم، والكراهية، والاستبداد « والتاريخ يشهد على هذا، حتى وإن أنكره أو تنكّر له الكثير ». [3]

وجهة نظر " صوفيا " لم تبتعد كثيرا عن رأي زوجها، فهي أيضا اعترفت بالهوية الفرنسية، والمتمثلة في أعمال العنف، التي مارستها فرنسا ضد الجزائريين قبل

---

[1] الرواية، ص 47.

[2] الرواية، ص 53.

[3] الرواية، ص 53.

الاستقلال، بالإضافة إلى اعترافها بالهوية الجزائرية، من خلال عودة الوطن (الجزائر) إلى أبنائه.

-شخصية جزاف:

" جزاف " والد " صوفيا " من بين الوحوش البشرية، التي فتكت بأبناء الشعب الجزائري في الثامن ماي 1945، إلاّ أنّه يشعر بالندم وتأنيب الضمير، ويقول عند ذلك: « قد قتلت نفسي يوم الثامن ماي، اليوم الذي قتلت فيه إنسانيتي. قتلت كل ابتسامة كنت أحلم بها، قتلت كل ما كان ينبض بالحياة في كياني ». [1]

إنّ ندم " جزاف " على ما فعله بقي معه طوال حياته، فهو يرى أنّ هذا الشعب كان ضعيفا ولا يملك سلاحا يذود به عن نفسه، لكن رغم هذا يقول "جزاف ": « ضعفاء قتلتهم برصاص بندقيتي، فقتلوني بالدموع، قتلوني بدموع اليتيم، والأرملة، والثكلى، قتلوني بدمع الأم المريضة ودعاء الشيخ الكظيم، قتلوني بلعنة من في السماء، ومن في الأرض... ». [2]

إنّ حزن هذا الشيخ دليل واضح، على أنّ الاستعمار الفرنسي، ارتكب أبشع الجرائم في حق الجزائريين، وكان " جزاف " واحد من الذين أجْرموا في حق شعب ضعيف، لا يملك أسلحة بسيطة للقتال، وندم " جزاف " هو اعتراف بالهوية الجزائرية التي حاول المستعمر طمسها بكل الوسائل.

إنّ نظرة العائلة الفرنسية المتمثلة في (الآخر) إلى الجزائر وشعبها المتمثل في (الأنا) في الرواية، هي نظرة سلمية تحمل في طياتها الكثير من المعاني الإنسانية

---

[1] الرواية، ص 59.

[2] الرواية، ص 60.

من حنين وحب الجزائر وأهلها، حتى الاعترافات، التي قدّمتها هذه الأسرة كانت بمثابة اعتذار للشعب الجزائري، وإرادة فعلية على طَيْ تلك الصفحة المؤلمة، وهذا ما يولّد جو من التآخي والحب؛ لأنّ ذلك يساعد الأجيال القادمة على العيش بسلام.

2- نظرة الأنا (الجزائري) للآخر (الفرنسي):

هناك اختلاف في الصورة، التي ينظر بها الجزائريون للمجتمع الفرنسي بعد الاستقلال، فرغم أنّ السارد أشار في روايته إلى الجرائم، التي ارتكبتها فرنسا في الجزائر، أثناء الاستعمار، إلاّ أنّه يبرز المظاهر الإنسانية، والأخلاقية للفرد الفرنسي بعد الاستقلال، وقد تجلّت هذه النظرة، من خلال صورتين هما:

2-1- صورة الاحترام والتقدير للآخر:

-شخصية السارد:

زار السارد مدينة " كان " الفرنسية، من أجل التعرف على عائلة " جزاف "، التي أراد من خلالها معرفة المزيد عن أحداث الثامن ماي 1945، فتوجه إلى منزل " صوفيا " أين وجد ذلك الشاب المصري الذي يعمل في منزلها من أجل أن يغطي كافة مصاريفه الدراسية.

إنّ الشاب المصري، يشيد بحسن معاملة السيدة " صوفيا "، فيقول: « وبعد سنتين من التفرغ للدراسة، وجدت نفسي مضطرا للعمل فدلني صديق فرنسي، على هذه السيدة المثقفة الطيبة، فاشتغلت في منزلها وصارت لي كأم، وساعدتني على مواصلة الدراسة بانتظام، ووفرت لي كل ما أحتاج إليه في الجامعة وخارجها ». [1]

---

[1] الرواية، ص 38.

ليجيبه " السارد ": « وما هذه السيدة الفاضلة إلا من هذا الصنف، بالإضافة إلى الروح الإنسانية التي قد تكون هي الدافع الأساسي لما تقوم به نحوك، ونحو غيرك » [1]، فهذه المرأة الفرنسية في نظر الشاب المصري، و" السارد "، تحمل كل الصفات الحميدة من خلال مساعدتها لغيرها، وهذا نابع من كرمها، وطيبتها، بالإضافة إلى عدم تمييزها في نظرتها للفرد العربي بصفة عامة؛ لأنّ « التقارب بين الأنا، والآخر، لن يكون إلا عبر ظلال الحب، والاحترام، الذي يتجلى بالاعتراف بخصوصية الآخر».[2]

إنّ " السارد "، ينظر إلى السيدة " صوفيا "، على أنّها إنسانة صادقة، بل ليس لديه أي شك في أنّها ستخبره حقيقة ما جرى في الثامن ماي 1945، رغم أنّها مواطنة فرنسية، فيقول: « وإنّي على يقين من أنني وصلت إلى من يأخذ بيدي ويساعدني على الإحاطة بأحداث الثامن ماي خمسة وأربعين في مدينة سطيف وضواحيها، وما يمكن الوصول إليه من أحداث 1945 – 1962 ». [3]

فنظرة " السارد " للفرد الفرنسي، من خلال " صوفيا "، تختلف عن نظرته للاستعمار الفرنسي قبل الاستقلال، فهذه السيدة المحترمة، تمتلك جميع المواصفات الإنسانية، بالإضافة إلى أنّها كانت ضحية من ضحايا الاستعمار؛ لأنّه كان سببا في تشتت عائلتها.

زيارة " السارد " لمدينة " كان "، جعلته يتعرف على " كلود " زوج " صوفيا "، الضابط الفرنسي المتقاعد، الذي قاتل في صفوف الاستعمار، إبّان الحرب على الجزائر، وقد عايش كل الأحداث، التي مرّ بها الجزائريون، لكن " السارد " لا ينظر إليه اليوم بصفته واحد

---

[1] الرواية، ص 38.

[2] ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، (د ط)، 2013، ص 167.

[3] الرواية، ص 39.

من الذين شاركوا في قتل الجزائريين، بل يعتبره أخاً له، يقول: « لعل من حسن الصدف أن أدخل اليوم منزل ضابط فرنسي كصديق بل كأخ، أدخل منزله وأنا أعرف من هو هذا الضابط، كما يعرف هو، من أنا بالنسبة إليه قبل اليوم، أعرف أنّه الإنسان، بل المقاتل الذي أدى ما عليه، وما تقتضيه مسؤوليته أثناء الحرب، وطبق الأوامر التي تأمر بها القيادة دون اعتراض ». [1]

" كلود " في نظر " السارد "، لا يتحمل مسؤولية ما حدث؛ لأنّه كان ينفذ ما طُلِب منه وما تقتضيه مصلحة بلاده، ووجهة النظر هذه دليل واضح على رغبة السارد في طَي صفحات الماضي، وفتح صفحة جديدة يملأها الاحترام، و« لهذا يجب أن تكون الإنسانية هي القاعدة التي نبني عليها مستقبلنا كبشر في حاجة إلى الحماية من شرور أنفسنا ». [2]

إنّ " السارد "، من خلال هذه النظرة يحاول أن يبرز الهوية الفرنسية، من جانبها الإنساني بعيدا عن السياقات التاريخية؛ لأن « الفترة الاستعمارية من الفترات التاريخية العصيبة، التي مرت بها الأمة العربية، إذ تركت رواسب وجراحا في نفسية الإنسان العربي ».[3]

صحيح أنّ فرنسا، أخطأت في حق الجزائر وشعبها، لكن اعتراف الفرنسيين بالخطأ يخلق المودة والمحبة بين الشعبين، يقول " السارد ": « نحن أبناء البشر لسنا معصومين من الأخطاء ولا مُجبلين على الصواب، ولكن عدم الاعتراف بالأخطاء، والاستمرار فيها، هو الذي يضر بالعلاقات بين الشعوب ويفرق بين أبنائها، وها نحن والحمد لله

---

[1] الرواية، ص 42.

[2] الرواية، ص 43.

[3] محمد الداهي، صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2013، ص 155.

قد تجاوزنا كل الأخطاء وتخطينا كل الحواجز ودخلنا مرحلة الإصلاح والمصالحة بين ذاتنا وإنسانيتنا » [1]، وهو ما يريد الكاتب إبرازه في الرواية، بأن فرنسا أخطأت في حق الجزائيين بأنه يمكن فتح المجال للمصالحة.

2-2- ذوبان الأنا في بوتقة الآخر:

ونلحظ ذوبان (الأنا) الجزائري، في بوتقة (الآخر) الفرنسي، من خلال شخصية " حسّان "، التي تعبر عن الانبهار بالآخر، والانصهار في بوتقة المجتمع الفرنسي؛ لأنّه رأى أنّ فرنسا هي بلد لا مثيل في العالم.

" حسّان "، هو ابن " الزهراء " الذي غادرها منذ وقت طويل، فالسارد تعجب لأمره، في قوله: « حسّان الذي جاء إلى فرنسا منذ سبع سنوات ولم يعد إلى الآن، ولم يزر والديه، وأخته ولو مرّة واحدة، والغريب في الأمر، أنّه لم يفعل هذا حتى عندما توفي أبوه منذ أربع سنوات!! » [2]، ولا يكفيه أنّه غاب كل هذه المرّة بل لم يحضر حتى لوفاة والده، وهذا العمل لا يقبل أي تبرير؛ لأنّ الوالدين في المرتبة الأولى قبل كل شي.

عاد " السارد "، إلى الجزائر بعد زيارته لمدينة " كان "، وتوجه إلى منزل الزهراء، ليجد " حسّان "، ذلك الشاب المغترب قد عاد إلى عائلته بعد غياب طويل، ورغم ذلك فقد بررت له " الزهراء "، سبب ذهابه لفرنسا، وقالت: « إنّ لا شيء لديه أفضل من العلم والمعرفة، وأنّه تأثر شديد التأثر لما سقط في امتحان البكالوريا للمرة الثانية، وأبْعد

---

[1] الرواية، ص 54.

[2] الرواية، ص 41.

عن مواصلة الدراسة، حتى أصبح أبوه يخشى عليه من إصابته بأزمة عصبية، وهذا ما أجبره على السماح له بالسفر إلى فرنسا بحثا عن العمل وطلبا للعلم ». [1]

إنّ الطموح، الذّي حَلُمَ به " حسّان "، لم يستطع تحقيقه في بلده، فوجد أنّ فرنسا هي البلد المثالي، الذي يصنع المعجزات إعجابه بمدينة باريس خير دليل، حيث يقول: « غادرت الجزائر ونزلت بباريس مدينة الحضارة الإنسانية، والثقافة الواسعة، والفكر العلمي، مدينة الأدب والأدباء ورجال المسرح، ومختلف الفنون، مدينة ملتقى الثقافات والحضارات الإنسانية (...)، باريس أحببتها؛ لأنني وجدت فيها كل ما كنت أتمناه في حياتي أحببتها لطيبة كل من عرفتهم من أهلها، أهلها الذين وجدت من بينهم العطف والحنان والمساعدة الإنسانية ». [2]

إنّ حديث " حسّان "، عن باريس يوضح مدى انصهاره في الهوية الفرنسية، ويمثل انصهار للهوية الجزائرية عنده؛ حيث لم يتكلم عن حبّه واشتياقه لبلده الجزائر، الذي غاب عنه مدة طويلة، فهناك أشياء وجدها في فرنسا، وشعبها منعدمة حسب رأيه في الجزائر، مما يمثل ذوبانه في هوية الآخر.

إنّ تعرف " حسّان "، على الفتاة الألمانية " سيلفيا "، وإعجابه بأخلاقها العالية، جعله يفكر في خطبتها، ومن خلال حديثه عنها أثّر في أخته " خولة "، حيث تقول: « إذا كان أخي حسّان يرى أنّ هذه الفتاة النبيلة تستحقه، وستسعده ويسعدها في الحياة، فهذا يسرنا، ولا أظنّ أنّ أمي ستعترض على هذا الزواج » [3]، ولم يتوقف الأمر بل أقنع والدته

---

[1] الرواية، ص 71.

[2] الرواية، ص 76.

[3] الرواية، ص 81.

الزهراء بهذا الزواج، وهو يقول: « لا تنسي يا أمي أنّها أخذت بيدي وقت المحنة، واعتبرتني أكثر من أخ وأعزّ من صديق، وأنّ الرجل الذي كان يأويها خلال دراستها الثانوية والجامعية لم يبخل عليّ بشيء ». [1]

نتيجة مساعدة " سيلفيا " وعائلتها، كان لابد على " حسّان "، أن يرد الجميل لهم، فهم بالنسبة إليه أكثر من أهله؛ لأنّه وجد بينهم دفء العائلة وحب امرأة ساعدته في ظروفه الصعبة. إنّ تفكير " حسّان " في الزواج من فتاة ألمانية؛ أي تحمل هوية تختلف عن هويته، هو محاولة للهروب عن الوطن، الذي يمثل معلم أساسي للهوية الجزائرية، كما أنّ هذا الزواج ذوبان في هوية الآخر وأفكاره وتقاليده وثقافته.

بعد زيارة " حسّان " لأهله، عاد إلى فرنسا ليكمل مسيرته الدراسية؛ لأنّه لا يفكر في البقاء معهم؛ لأنّه يريد أن يبني مستقبله في فرنسا من خلال المشاريع؛ التي سطّرها في حياته من دراسة وزواج وعمل، إلاّ أنّ الأقدار خبأت له ما لم يكن في الحسبان، فقد توفيت خطيبته " سيلفيا "، وعند سؤال " السارد " عنها أبهش بالبكاء، وقال: « سيلفيا، أين هي الآن يا سيدي؟!، إنّها تحت التراب منذ أيام، قد ماتت هي وكيرتا عمتها في حادث سيارة أثناء زيارتهما لأهلهما بألمانيا ». [2]

لم يخبر "حسّان "، والدته بهذا الأمر، وكالمعتاد بقي وقتا طويلا، ولم يزر عائلته، فها هي " الزهراء "، تسأل السارد عن حالته؛ لأنّه قام بزيارته، يقول " السارد ": « منعته ظروف لم تكن في الحسبان ولمّا مضت أيام العطلة لم يعد في وسعه السفر، وانكب على المراجعة لاستقبال امتحان آخر السنة، بالإضافة إلى هذا، عليه أن يركز

---

[1] الرواية، ص 81.

[2] الرواية، ص 100.

على موضوع بحث التخرج كي يفوز بعلامة جيّدة، وهذا مهم بالنسبة لدراسته المعمقة في المستقبل » [1]، من خلال هذا الحديث يبدو أنّ " حسّان " الشاب الجزائري، ما زال مصمما على إكمال مسيرته بعيد عن وطنه وأهله، متمسكا بفرنسا، التي أذهلته وجعلته يرى فيها كل الأشياء الجميلة، متناسيا الماضي الأليم للشعب الجزائري، بالإضافة إلى كل الفروقات التي تميز الشعبين الجزائري والفرنسي، وها هي السنة الجامعية تقارب على الانتهاء، و" حسّان " يكتفي بإرسال رسالة إلى " السارد "، يخبره: « أنّه يعيش مع مرسال في منزله مرتاح البال، وأنّه قرر المشاركة في امتحان دخول دراسة (الماجستير)، إذا حظي بالنجاح في السنة النهائية، وأنّه عازم كل العزم على مواصلة الدراسة، والبحث إلى أن ينال شهادة الدكتوراه ». [2]

إنّ " حسان "، هو نموذج عن الشاب الجزائري، الذي تنكر لبلده وهويته من أجل تحقيق طموحه، وقرّر أن يذوب في بوتقة المجتمع الفرنسي؛ أي هوية الآخر ليبني أحلامه، ممّا يصور لنا ذوبان هويته في ظل الآخر، فصحيح أنّه يجب على كل شخص أن يفكر في نفسه؛ لكن عليه في المقابل أن يظهر بعض الحب، والودّ، إلى بلده وشعبه؛ لأنّه مهما حدث فإنّه سيبقى في نظر المجتمع الفرنسي فردا جزائريا.

نجد أنّ " السارد " في روايته، استخدم ثنائية (الأنا) و(الآخر)، للتعبير عن الهوية الجزائرية، من خلال بشاعة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، والمقاومة الشرسة من طرف الجزائريين هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد عبّرت هذه الرواية عن الهوية

---

[1] الرواية، ص 101.

[2] الرواية، ص 103.

الفرنسية، من خلال الروح الإنسانية، التي يمتلكها الفرد الفرنسي اتجاه الجزائريين، فهذه النظرة جعلت الجزائري يعيد النظر في العلاقة بين الشعبين.

الفصل الثاني:

" الهوية والتعايش الحضاري في الرواية "

- أولا: الهوية العربية:

1-شخصية السارد

1-1-حب الوطن

1-2-الاهتمام بالتاريخ الجزائري

2-شخصية الزهراء

2-1- معاناة الزهراء قبل الاستقلال

2-2- معاناة الزهراء بعد الاستقلال

3-شخصية الشاب المصري

- ثانيا: الهوية الفرنسية:

1-شخصية جزاف

1-1-الدين المسيحي

1-2-الانتماء إلى الوطن (فرنسا)

2-شخصية كلود

- ثالثا: التعايش الحضاري:

1-الطفلة الزهراء في منزل جزاف

2-وجهة نظر السارد

3-حسان وتعرفه على " باصكال " الفرنسي

4-حسان وتعرفه على الفتاة الألمانية " سيلفيا "

5-حسان وزواجه بالفرنسية " إلان "

نجد أن " السارد " في الرواية حاول أن يبرز الهوية من خلال الشخصيات؛ لأن الشخصية تلعب دوراً هاماً في تجسيد فكرة الروائي، وهي من غير ذلك عنصر مهم في تسيير أحداث العمل الروائي [1]، وهذا يعني أنّ " السارد " لا يوظف الشخصية في الرواية، بدون هدف « فما من حدث، أو فعل إلاّ وراءهُ شخصية تحركه »[2]؛ لأنّ الرواية تقوم على أحداث متسلسلة، ومن النادر أن تكون الشخصيات عديمة الفائدة، " فالسارد " « هو الذي ينتقي ملامحها وسماتها، ويحدد لها موضعا معينا »[3] في الرواية.

إنّ أهمية الرواية، تكمن في قدرتها على « تحديد معالم شخصياتها، وتصوير محيط هذه الشخصيات، تصويرا مفصلا ».[4]

ومن هذه المنطلق، سنتناول الهوية من جانبين؛ الهوية العربية من جهة، والهوية الفرنسية من جهة أخرى، ثم الكشف عن مظاهر التعايش الحضاري بين الهويتين الجزائرية، والفرنسية في الرواية.

---

[1] ينظر: محمد علي سلامة، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، (د ط)، 2007، ص 13.

[2] أحمد طالب، الفاعل في المنظور السيميائي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط 1، 2002، ص 9.

[3] الصادق بن الناعس قسومة، علم السرد (المحتوى والخطاب والدلالة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ط 1، 2009، ص 190.

[4] نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني دراسة موضعية وفنية، دار العلم والإيمان للنشر، والتوزيع، كفر الشيخ، ط 1، 2009، ص 44.

- أولا: الهوية العربية:

باعتبار الهوية، هي الحقيقة التي تعبر عن ذات الأمة، في تميزها الإيجابي عن غيرها، فإنّ الهوية القومية للإنسان العربي، هي الهوية العربية.

إنّ صورة الهوية العربية، عند " السيّد ياسين"، هي: حصيلة لخبرة تاريخية مشتركة، ولغة عربية واحدة، وتراث ثقافي مشترك وعن النسق الرئيسي، والسمات البارزة للشخصية العربية، والهوية العربية يقول: هناك شخصية تعبر عن أمّة عربية واحدة، وتقوم هذه الشخصية على دعامتين أساسيتين، هما: [1]

1-نمط أساسي للإنتاج نما وتطور في البلاد العربية كلها، وفق مراحل متشابهة.
2-بناء فوقي واحد أبرز عناصره: الخبرة التاريخية المشتركة، واللغة العربية، والتراث الثقافي المشترك.

تزخر الرواية، بعدد من الشخصيات العربية، والفرنسية، التي تساعد في تحريك الأحداث، وتساهم في توضيح بعض الحقائق، التي يريد السارد إيصالها للقارئ، والملاحظ أنّ بعض شخصيات الرواية، تحمل في طياتها معالم الهوية، سواء كانت عربية أو فرنسية، وسنحاول إبراز بعض هذه المعالم من خلال شخصيات الرواية.

1-شخصية السارد:

إنّ " السارد " في الرواية، هو من أبرز الشخصيات؛ لأنّه المحرك الأساس للأحداث، ولعل حبه للوطن، جعله يسافر لجمع المعلومات حول الثامن ماي، فهو لم يكن شاهد على أحداث الثامن ماي 1945، بل شارك في ثورة أول نوفمبر 1954؛ أي الثورة

[1] ينظر: أحمد بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياه في الوعي العربي المعاصر، ص 33.

التحريرية الكبرى، يقول في النص الآتي: « وأخذت طريقي إلى حيث ألتقي بأصدقائي ورفاق الكفاح، ذهبت إليهم ألتمس شيئا من الراحة بينهم، لأتخلص من معاناة البحث في ركام الماضي »[1]، فأصدقاء " السارد " هم الذين شاركوه في تحرير الجزائر، من الاستعمار الفرنسي، وبذلك يمكن أن نلمح الهوية الوطنية في شخصية السارد، وفق عنصرين هما:

1-1-حب الوطن:

إنّ الوطن أو الأرض هو من أبرز المعالم المكوّنة للهوية الجزائرية، فالسارد في الرواية يتحدث بكثرة عن الجزائر ومدى حبّه لها، فعند وصوله لمدينة سطيف يقول: « أحببتك يا مدينة سطيف، أحببتك لأنّك رمز الحب. أحببتك وأحببت كل ما فيك، أحببت أنغام حسانك وأيام أفراحك، أحببت ورود بساتينك، وحور جنتك وينابيع مياهك الرقراقة ».[2]

فحب السارد لمدينة سطيف، دليل على حبّه للجزائر، هذا الوطن العظيم، الذي خاض أبناؤه حربا ضارية من أجل استقلال وطنهم، فالأرض بالنسبة للسارد، هي جزء من هويته الجزائرية التي قاتل من أجل استرجاعها من المستعمر الفرنسي.

ونجد في مقطع سردي آخر، أثناء حواره مع أصدقائه، يقول: « وأنا أقول لكم أيّها الأصدقاء، إن كنتم مثلي لا تعرفون ماذا ستكتبون، ولا عمن ستكتبون، ولا لمن تكتبون فاكتبوا عن الوطن وللجزائر وحدها »[3]، الجزائر بالنسبة للسارد ليست مجرد وطن فقط، بل هي الأم الحنون التي تعطف على أولادها في أوقات الشدّة والرخاء، وتشاركهم أفراحهم وأحزانهم، ولذا يجب علينا أن نحافظ عليها؛ لأنّها تمثل هويتنا الوطنية.

---

[1] الرواية، ص 32.

[2] الروية، ص 5.

[3] الرواية، ص 35.

عندما توجه السارد، إلى مدينة " كان " الفرنسية، بحثا عن عائلة " جزاف " التقى بالفتى المصري العامل في منزل " صوفيا "، وسلّمه جواز سفره، الذي يثبت هويته الجزائرية، وهذا ما جاء على لسان السارد في قوله: « بل أنا جزائري، وإليك جواز سفري لتخبر السيدة صوفيا عند عودتها ».[1]

إنّ جواز سفر " السارد "، هو رمز من رموز هويته الجزائرية، فعند رؤية السيدة صوفيا لهذا الجواز، لم تسأل السارد عن جنسيته ورحّبت به، يقول "السارد ": « وقبل خروجنا من الحديقة، نزلت السيدة من السيارة واستقبلتني عند الباب، وتعرفت عليّ من خلال جواز السفر ».[2]

" صوفيا " كانت تحب الجزائر، الوطن الذي نشأت فيه، وبما أنّ " السارد " يحمل جواز سفر جزائري، لم تتوانى في الترحيب به دون معرفة الغاية التي جاء لأجلها.

من خلال المقاطع، التي جاءت في الرواية، نجد أنّ " السارد " شخصية وطنية تتميز بحبها للوطن، ومتمسكة بهويتها الجزائرية، والرموز التي تدل على انتمائها للوطن.

1-2-الاهتمام بالتاريخ الجزائري:

يعد التاريخ، من أبرز المعالم المكوّنة للهوية الوطنية، ونجد السارد يهتم بتاريخ الجزائر؛ لأنّه من المساهمين في صنعه وممن حرروا هذا الوطن من الاستعمار الغاشم؛ لأنّه شارك في الثورة التحريرية، وفي الرواية هناك العديد من المقاطع، التي تدل على اهتمام " السارد "، بالتاريخ خاصة أحداث الثامن ماي 1945.

---

[1] الرواية، ص 37.

[2] الرواية، ص 38.

" السارد " في الرواية، نجده يخاطب مدينة سطيف، الشاهدة على هذه الأحداث التاريخية، حيث يقول: « وها أنا أتيتك أيتها المدينة الطيبة، أتيت لأسألك وأسأل ماضيك وأعرف عنك كل شيء، أغوص في أعماق تاريخك، وأقرأ ما في صدور أبنائك »[1]، فتاريخ سطيف هو جزء من التاريخ الجزائري، الذي يحاول " السارد " التنقيب والبحث فيه.

بعد رحيل " السارد " من مدينة سطيف، يتجه إلى خراطة؛ حيث يرى أنّها منطقة من المناطق، التي صنعت تاريخ الجزائر لما قدّمته من تضحيات، وفي ذلك يقول: « خراطة التي اخترتها كانت هي أيضا مدينة من مدن الشهداء، شهداء الثامن ماي، وشهداء من قدموا أرواحهم فداء للوطن في حرب التحرير ».[2]

يَعِدُ " السارد " منطقة الخراطة بالعودة إليها، من أجل معرفة المزيد عن تاريخها، خاصة أحداث الثامن ماي 1945، فيقول: « خراطة سأعود إليك، وأستمع إلى شهادة من حضر من أبنائك مجزرة الثامن ماي، سأعود إليك لأعرف تاريخ هذه المدينة الطيبة ».[3]

إنّ حب " السارد "، للتنقيب عن التاريخ الجزائري، هو نابع من هويته الجزائرية الأصيلة التي تقدّس التاريخ، الذي يعد مفخرة لكل جزائري، فهذا التاريخ المجيد كُتب بدماء الشهداء، والسارد يدرك هذه العظمة، لذلك يحاول حماية تاريخ بلده من التحريف والتزييف، وفي حوار له مع أصدقائه، يقول: « لماذا لم تمهلوني حتى أجمع ما يكفيني، لبناء بعض المعالم والنصب في مواقع الأحداث التي شملت هذه الرقعة من الوطن (...) وكنتم

---

[1] الرواية، ص 5.

[2] الرواية، ص 22.

[3] الرواية، ص ن.

تلحون علي أن أكتب الكثير، وأنا لا أعرف إلاّ القليل، من تاريخ هذا الشعب العربي المسلم ».[1]

إنّ كتابة التاريخ الجزائري، هو مسؤولية كبيرة في نظر " السارد "؛ لأنّه يتطلب الجهد الكبير من أجل الوصول إلى الحقائق الخفية؛ ولأنّ التاريخ هو جزء من الهوية الوطنية الجزائرية على كل باحث في التاريخ توخي الدّقة في البحث.

إنّ البحث في التاريخ لدى " السارد "، وخاصة في أحداث الثامن ماي 1945، ما زال طويلا؛ حيث يقول " السارد ": « وصلت رحلتي الأولى إلى نهايتها، وعدت بزاد من تاريخ منطقة سطيف، زاد تزودت منه بالكثير من الحقائق التاريخية لأزود من يرغب في هذا الزاد ولا أخجل على أحد ».[2]

إنّ شخصية " السارد "، في الرواية تمتلك كل المقومات، التي تبرز من خلالها الهوية الجزائرية، فهو محب لوطنه، وشعبه وفخور بتاريخه الذي صنعه الأبطال.

2- شخصية الزهراء:

تبرز شخصية " الزهراء " في الرواية على أنها تلك المرأة الشاهدة على أبشع الجرائم التي ارتكبت في حق الجزائيين في الثامن ماي 1945، ويصف " السارد " منزل " الزهراء " حين ذهب إليها ليستعين بشهاداتها في بحثه، فيقول: « دخلت منزل زهراء السيدة الأدبية الذكية، منزل العفة والكرامة والكرم، منزل يختلف عن غيره من المنازل

---

[1] الرواية، ص 33.

[2] الرواية، ص 35.

التي دخلتها، منزل وجدت فيه امرأة تحمل تاريخ أمّة (...)، إنّها المرأة التي طالما تمنيت أن أتحدث لها ».[1]

2-1-معاناة الزهراء قبل الاستقلال:

هذه الشخصية، التي ذاقت مرارة فقدان الوالدين مع بداية حياتها، ففي الثامن ماي 1945، حملت أمينة ابنتها " الزهراء "، التي لا تتجاوز ثلاث سنوات وتوجهت إلى منزل " جزاف " لترجوه أن يبحث عن زوجها سالم، وعند دخولها إلى المزرعة، فاجأتها رصاصة غادرة أردتها جثة هامدة، كما في النص: « رصاصة انطلقت من يد غادرة، اخترقت صدرها فسقطت على الأرض، سقطت واليد اليمنى على صدرها، واليسرى تمسك " بزهراء " رضيعتها، زهراء التي قتل أبوها أثناء المطاردة (...)، زهراء التي فقدت أبويها في يوم واحد ».[2]

كل هذه الأحداث بقيت في ذاكرة " الزهراء " الطفلة اليتيمة، فرغم الحنان التي منحته لها عمتها إلاّ أنّها لم تتجاوز هذه الأحداث فعندما ذهبت إلى المزرعة برفقة " جزاف "، لتتلقى تعليمها لم تستطع دخولها؛ لأنّ صورة والدتها بقيت محفورة في ذهنها، لذلك ذهبت للعيش في كوخ معلم القرآن " دحمان الدراجي "، مقابل منحة شهرية يعطيها له " جزاف "، حاولت " الزهراء " أن تتأقلم مع حياتها الجديدة، كما في المقطع السردي: « وقد وجدت زهراء بين تلاميذ المدرسة، ما يسليها وينسيها البعض من همومها، ويحجب عنها مشاهد الرعب العالقة بذاكرتها، ووجدت في المدرسة، ما لا تجده في البيت أو القرية النائية ».[3]

---

[1] الرواية، ص 17.

[2] الرواية، ص 10.

[3] الرواية، ص 25.

إلاّ أنّ هذه الراحة النفسية، لم تدم بسبب رؤية " الزهراء "، للصور التذكارية لعائلة " جزاف "، وكانت صورة والدتها بين الصور، هذا ما جعل زوبعة الماضي تعود من جديد، وبسبب هذه الحادثة تخلّت عن دراستها وحبست نفسها، وهذا ما جاء في المقطع السردي، الآتي: « وأمام ذا وذاك رضيت زهراء بالقدر المحتوم، قدر أجبرها على الاكتفاء بسجن، فرضته على نفسها منذ غادرت الثانوية ومنزل صوفيا، سجن النفس، والعقل والجسد، سجن لا يتسع لهمومها المتراكمة على كاهلها يوم بعد يوم ».[1]

أحزان " الزهراء " لم تقف عند هذا الحد، بل تعرضت للاغتصاب من قبل ضابط فرنسي، في مداهمة لكتيبة من الجيش الفرنسي على مزرعة " جزاف "، يقول " جزاف " عن هذه الحادثة: « اقتحم غرفة الزهراء بعد تحطيم الباب فأخذت تصيح بأعلى صوتها وتستغيث بعمتها، ومَنْ بالمنزل فلم تجد من يغيثها، وهجم عليها الضابط كالوحش الكاسر ».[2]

كل هذه المعاناة، التي تعرضت لها " الزهراء " قبل الاستقلال، ما هي إلاّ جزء من المعاناة الجماعية للشعب الجزائري، فالزهراء ونظرا لانتمائها لهذا الوطن عانت مثلما عانى الشعب الجزائري بأكمله قبل الاستقلال. إنّ حياة " الزهراء " كانت مرتبطة بالوطن بدرجة كبيرة؛ لأنّها فقدت والديها في سبيل الحرية المنشودة.

بما أنّ " الزهراء "، هي فرد من أفراد هذا الوطن الذي يمثل الهوية الجزائرية للشعب فقد عانت نظرا للاستعمار الذي تعرض له، الهوية الفردية " للزهراء " مرتبطة بوطنها الجزائر.

---

[1] الرواية، ص 30.

[2] الرواية، ص 65.

2-2-معاناة الزهراء بعد الاستقلال:

ألم وحزن " الزهراء " لم يتوقف باستقلال الجزائر، بل رافقها هذا الحزن العميق بقية حياتها، فرغم أنّها تزوجت في السنوات الأولى من الاستقلال، "بمختار" صديق طفولتها: « وأنجبت بنتين وخمسة أطفال، كلّهم توفوا في الصّغر إلاّ خولة وحسان »[1]، فقدان " الزهراء " لأولادها جعل حياتها تتسم بالحزن، خاصة بعد سفر ابنها "حسان" إلى فرنسا، يقول " السارد ": « حسان الذي جاء إلى فرنسا، منذ سبع سنوات ولم يعد إلى الآن، ولم يزر والديه وأخته لو مرة واحدة ».[2]

إنّ هذا الوضع الذي عاشته " الزهراء " جعلها تظل في حالة حزن دائم خاصة بعد فقدان زوجها، الذي توفي وابنه غائب عنه، وهذا ما جاء على لسان " خولة "، ابنة " الزهراء "، في المقطع الآتي: « إنّه منزلنا سكنه والدي من الاستقلال، وهو المنزل الذي ولدتُ فيه (...)، وفيه ودعت أبي منذ ثلاث سنوات (...)، أم حزينة على زوجها وابنها المفقود منذ سنوات ».[3]

إنّ " الزهراء "، لم يكفها ألم الفقدان حتى الأوضاع المعيشية كانت مزرية، ولا تملك أي دخل يعيلها مع ابنتها خولة، الحزن والألم هو جزء من الهوية الفردية لشخصية " الزهراء "، فرغم محاولتها الدائمة لبناء حياة جديدة، يأتي القدر ليفرض عليها البقاء في هذه الحالة.

---

[1] الرواية، ص 41.

[2] الرواية، ص ن.

[3] الرواية، ص 16.

تتسلل البسمة وسط هذه الأحزان، بعودة ابنها الغائب، وهذا ما عبّر عنه السارد في قوله: « وها هي زهراء الحزينة على فقدان الزوج، وغياب الابن تبتسم للحياة (...) بسمة رافقها دمع الفرح بعودة ابنها حسّان الذي أطل عليها فجأة، بعد غياب دام أكثر من سبع سنوات »[1]، إنّ هذا الحدث البهيج جعل شخصية " الزهراء "، تشعر بالقليل من الطمأنينة والراحة التي افتقدتها منذ طُفولتها.

إنّ الهوية لشخصية الزهراء، هي هوية وطنية، وذلك لارتباط حياتها بالوطن، فهذه المرأة ضحت قبل الاستقلال بنفسها، ووالديها من أجل استقلال الجزائر، وبعد الاستقلال ذاقت طعم الفراق نتيجة سفر " حسّان " إلى فرنسا وخروجه من الجزائر.

3- شخصية الشاب المصري:

عند انتقال " السارد "، إلى مدينة " كان " الفرنسية للبحث، عن " صوفيا " صديقة " الزهراء " منذ الطفولة، وعند وصوله إلى منزل صوفيا قابل الشاب المصري، الذي يعمل لديها، ومنذ الوهلة الأولى اكتشف السارد هوية الشاب، كما في النص: « شكرا أيّها الفتى العربي، يبدو لي أنّك مصري، وآداب الاستقبال هي جزء لا يتجزأ من الحضارة المصرية العريقة ».[2]

وهذا دليل على تميز الشاب وبروز شخصيته وهويته العربية من خلال كلامه ومعاملته للآخر، الشاب المصري ذهب إلى فرنسا من أجل الدراسة، ليجد نفسه مجبرا على العمل

---

[1] الرواية، ص 71.

[2] الرواية، ص 37.

لإعالة نفسه، حيث يقول: « أما أنا فقد أتيت إلى فرنسا، منذ خمس سنوات لإتمام دراستي في الاقتصاد العالمي، وبعد سنتين من التفرغ للدراسة، وجدت نفسي مضطرا للعمل ».[1]

إنّ تواجد هذا الشاب في بلاد أجنبية، لم يمنعه من المحافظة على هويته المصرية العربية، فنجد السارد يحثه على الالتزام بالأخلاق الحميدة؛ لأنّه سفير لبلده في فرنسا فيقول: « ومهما كان سبب وجودك هنا تذكر دائما يا بني فأنت تمثل شعبك وأمتك في هذه الديار، وأظن أنّ هذا لا يغيب عن شاب واع ومهذب مثلك »[2]، فمصر وما تملكه من حضارة عريقة وثقافة وكرم أهلها تتجسد في هذا الشاب المغترب؛ لأنّه يمثل هوية شعبه ويجب عليه أن يوصل هذه الصورة إلى الآخر في أجمل حُلّة.

- ثانيا: الهوية الفرنسية:

ويمكن أن نلحظ ملامح الهوية الفرنسية في الرواية، من خلال شخصيتين هما:

1-شخصية جزاف:

ونستطيع تحديد هويته الفرنسية من خلال اسمه، الذي يوحي بأنّه فرنسي، و"جزاف" هو شخصية فرنسية في الرواية، انتقل مع عائلته إلى الجزائر إبّان الاستعمار الفرنسي، فقد جميع أفراد أسرته وقرر العمل لإشغال نفسه، يقول " جزاف ": « غرست عدة هكتارات بالأشجار المثمرة، وطورت أسلوب الزراعة مما جعل حقولي تزدهر وتنتج إنتاجا وافرا وتدر عليّ أرباحا لم أكن أتوقعها ».[3]

---

[1] الرواية، ص 38.

[2] الرواية، ص 37.

[3] الرواية، ص 56.

تزوج " جزاف " من " كارلين "، وأنجبا " صوفيا "، و" فيردي "، و" جاك "، إلاّ أنّ " فيردي "، توفي في مدينة البرج سنة ستين، ليعود بعد ذلك " جزاف " إلى فرنسا مع ما بقي من أفراد أسرته، وتتجلى الهوية الفرنسية، لهذه الشخصية من خلال مظهرين هما:

1-1-الدين المسيحي:

ورد في الرواية، ما يدّل على أنّ شخصية " جزاف "، تنتمي إلى الديانة المسيحية، وهذه الديانة هي جزء من الهوية الثقافية الفرنسية، فـ " جزاف " عند عودته إلى فرنسا عزل نفسه في منزله لا يغادره إلاّ عند الحاجة، أو عند الذهاب إلى الكنيسة، يقول " جزاف ": « عدت من الجزائر أقود ما بقي من أفراد أسرتي، وانزويت بين جدران هذا المنزل (...)، عند الذهاب إلى الكنسية للصلاة والتضرع إلى الله أن يغفر لي ذنبي، ويخفف ما أعانيه من عذاب الضمير ».[1]

" جزاف " ندم على كل ما فعله مع أبناء الجزائر، وكانت الكنيسة هي ملاذه الوحيد ليغفر له الله، جميع ذنوبه التي ارتكبها في حق أبرياء عزل، وكان يتردد إلى الكنيسة بصفة دائمة، يقول عن هذا: « كنت أذهب إلى الكنيسة لأتوسل ليسوع أن يغفر لي؛ لأنني خالفت وصاياه وتعاليمه (...) خالفتها ودخلت في زمرة الظالمين مثل الفرنسيين وأمثالهم، والصدّيقين ومن سار على دربهم، من الذين أزعجوا يسوع، بل كنت من الذين يهتفون " بقيافا " رئيس مجمع الكهنة في محاكمة يسوع النبي الطاهر ».[2]

إنّ " جزاف " خالف كل التعاليم التي كانت تدعو إليها الديانة المسيحية من تسامح وعفو، فهو سلب الحياة من الأحياء وقتل الآلاف من أبناء الجزائر بغير حق، كل ذلك

---

[1] الرواية، ص 68.

[2] الرواية، ص ن.

والفرنسيون يترددون على كنائسهم ليصلوا، يقول " جزاف ": « كنا نذهب إلى كنائسنا لنصلي إلى الرب ونتوسل ليسوع، نصلّي وندعي أننا على دين يسوع ونحن ننادي بما كان ينادي به قيافا رئيس الكهنة وشيوخه ونطالب بإطلاق " ابرأبا " وصلب المسيح ».[1]

فرنسا كانت تدّعي الإنسانية، إلاّ أنّها قتلت أكبر عدد من الأبرياء في سبيل إنكار الحق وتزكية الباطل، وهذا عكس ما دعت إليه ديانتهم، فتوظيف السارد للدين المسيحي في الرواية دليل واضح على إبراز الهوية الفرنسية لـ " جزاف "؛ لأنّ الدين عنصر مهم في تكوين الهوية الفرنسية فرغم تعاطف وتضامن " جزاف " مع أبناء الجزائر، إلاّ أنّه يحمل الهوية الفرنسية.

1-2-الانتماء إلى الوطن (فرنسا):

يتجسد انتماء " جزاف "، لوطنه فرنسا في الرواية، من خلال بعض المقاطع التي تدل على هويته الفرنسية، فنجد أنّ هذه الشخصية، ورغم تضامنها مع الجزائر وشعبها، إلاّ أنّها اتبعت السياسة، التي تمليها عليها بلدها فرنسا، وفي الثامن ماي 1945 نشرت فرنسا الحقد بين المعمرين ضد أبناء الجزائر، يقول " جزاف ": « اشتريت بندقية صيد جديدة لابني " فيردي "، وأخرى لـ " جاك "، وأضفت إلى بندقيتي مسدساً أحمله معي دائما، وكان الخبر الكاذب، والإشاعات المغرضة، قد أشعلت في صدري نار الحقد والكراهية لأبناء الوطن ».[2]

" جزاف " صدق كل الأكاذيب التي قامت فرنسا بنشرها، لا لشيء إلاّ لأنّه يحمل الهوية الفرنسية، التي تعزز انتماءه لوطنه رغم أنّ فرنسا تتبع سياسة لا إنسانية ضد شعب أعزل.

---

[1] الرواية، 68.

[2] الرواية، ص 57.

يتجلى انتماء " جزاف " لوطنه فرنسا، من خلال قوله: « فقدنا كل شيء وكانت النتيجة حتمية، فقدنا الكثير من أسرنا في الحروب، فقدناهم وتركنا رفاتهم في أرض غير أرضهم، فقدناهم وتركناهم هناك ولم نعد نزور حتى مقابرهم، وكأنهم ليسو منّا؟ »[1]، " جزاف " يتحسر على رفاة دفنت في أرض غير أرضهم؛ لأنّ هويتهم الفرنسية مرتبطة بوطنهم فرنسا، وما الجزائر إلاّ أرض أرادوا وأخذها بالقوة واستنزاف خيراتها، وبعد أن أيقنوا أنّهم فقدوا كل شيء في الجزائر بقوة الحق عادوا إلى فرنسا وطنهم الأصلي متجرعين طعم الهزيمة.

2- شخصية كلود:

" كلود " هو زوج " صوفيا "، كان ضابطا في الجيش الفرنسي وأحيل إلى التقاعد منذ سنة، وهو من الضباط الذين شاركوا في حرب الجزائر، نجد " صوفيا " تعرّف السارد على زوجها وتقول: « هذا السيد كلود زوجي ضابط في المشاة، وقد أحيل على المعاش منذ سنة فقط ». [2]

إنّ انخراط " كلود " في الجيش الذي يمثل بلاده فرنسا، هو دليل انتمائه إلى الهوية الفرنسية؛ لأنّ الأرض هي جزء هام من الهوية، فـ " كلود " بحكم منصبه العسكري، قد شارك في العديد من العمليات، التي خاضها الجيش الفرنسي ضد الجزائريين، فهو يقول عند ذلك « كنت وقتها أقود كتيبة من الجنود المشاة، وفي ذات يوم دُعيت إلى مقر القيادة، وشاركت

---

[1] الرواية، ص 48.

[2] الرواية، ص 42.

في إعداد حملة واسعة، تشمل المرتفعات المطلة على مدينة سطيف وتمتد إلى الشمال الشرقي إلى مدينة البرج ».[1]

فانحياز هذا الضابط الفرنسي، لبلده فرنسا رغم أنّه يعلم أنّ سياستها في الجزائر كانت ظالمة، وأنّها سلبت شعبا حريته نابع من حبّه لوطنه، وتشبثه بهويته الفرنسية، وعندما يتحدث " كلود " عن المجاهدين فهو يرى أنّهم أناس مختلفون عنهم، أمّا الجنود الفرنسيين فهم من أبناء بلده، وحديثه عنهم كان بصيغة المتكلم « واشتبكنا مع الثوار اشتباكا عنيفا، وقتلنا منهم عددا كبيرا، وقُتل منّا عدد لا يقل عن قتلاهم وجرح الكثير »[2]، وهذا دليل على أنّ " كلود "، من الضباط الأوفياء لبلده، حتى وإن كانت مواقفها على خطأ.

بمجرد إعلان استقلال الجزائر وخروج فرنسا، قام المعمرون بالرحيل والعودة إلى فرنسا رغم عدم طرد الجزائريين لهم، إلاّ أنّ انتمائهم لفرنسا، جعلهم يغادرون الجزائر مع مغادرة دولتهم، يقول " كلود ": « تركنا ما نملك، تركنا كل شيء وأتينا إلى فرنسا فارين دون أن يكون هناك من يطاردنا، وهذه أكبر حماقة ارتكبناها في حياتنا (...)، وكل ما أقدمنا عليه آنذاك كان بدافع الكبرياء ».[3]

تبرز الهوية الفرنسية في شخصيات الرواية، إمّا من خلال الوطن (فرنسا) أو من خلال الدين المسيحي، فالشخصيات الفرنسية، ورغم اعترافها بحق الجزائريين في نيل حريتهم، إلاّ أنّها شاركت بلدها في جميع محاولاتها للنيل من أبناء الجزائر، واغتصاب أرضهم بالقوة، وهذه المساندة المطلقة لفرنسا نابعة من انتمائهم للهوية الفرنسية.

---

[1] الرواية، ص 94.

[2] الرواية، ص ن.

[3] الرواية، ص 47.

تحدث " السارد " في الرواية، عن الصراع الكبير بين الشعب الجزائري، والاحتلال الفرنسي قبل الاستقلال، أمّا بعد الاستقلال نجد هذا الصراع يختفي في نظره، وفي ظل هذا المد والجزر، ألا يوجد تعايش حضاري بين الهويتين الجزائرية والفرنسية؟

- ثالثا: التعايش الحضاري:

التعايش الحضاري، هو ضرب من ضروب التعاون، الذي يقوم على أساس الثقة والاحترام المتبادلين، والذي يهدف إلى غايات يتفق عليها الطرفان أو الأطراف، التي ترغب في التعايش وتمارسه عن اقتناع وطواعية وباختيار كامل.

يعرّف " عبد العزيز التويجري " التعايش، بقوله: « هو اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش – أي الحياة – فيما بينهما وفق قاعدة يحددانها، وتمهيد السبل المؤدية إليه، إذ هناك فارقا بين أن يعيش الإنسان مع نفسه وبين أن يتعايش مع غيره، ففي الحالة الثانية يقرر المرء أن يدخل في عملية تبادلية مع طرف ثان أو مع أطراف أخرى، تقوم على التوافق حول مصالح وأهداف أو ضرورات مشتركة ».[1]

إنّ التعايش الحضاري، هو الاحترام والتقدير والقبول للتنوع الثقافي، والأشكال والصفات الإنسانية المختلفة، وهناك تعايش ينشأ بين جماعات مختلفة، وتعايش ينشأ على مستوى أفراد ينتمون إلى هويات مختلفة، وهذا التعايش الحضاري، الذي سنقوم بدراسته في الرواية.

---

[1] عبد العزيز بن عثمان التويجري، الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن 21، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، المغرب، ط 2، 2015، ص 16.

إنّ التصوير، الذي قدّمه " السارد " عن الهوية الجزائرية، والهوية الفرنسية تراوح بين الصراع من جهة، والتعايش بين الهويتين من جهة أخرى، فأمّا الصراع فقد أشرنا إليه فيما سبق، وأمّا التعايش فنلمسه في العديد من المقاطع، التي جاءت في الرواية.

1-الطفلة " الزهراء" في منزل " جزاف ":

إنّ احتضان منزل " جزاف "، للطفلة " الزهراء " قبل استقلال الجزائر، ومساعدتها، رغم أنّها تنتمي إلى هوية تختلف عن الهوية الفرنسية، هو مظهر من مظاهر التعايش، ونلمس ذلك في قول " السارد "، عند حديثه عن " جزاف " و" الزهراء ": « اقترح على حامد أن يسمح لـ " زهراء " بالإقامة في منزله الجديد، لتساعدها " صوفيا " على مراجعة دروسها وإتقان اللغة الفرنسية »[1].

عند انتقال " الزهراء " إلى منزل " جزاف "، وجدت الراحة، التي كانت تناشدها، و" صوفيا " كانت بمثابة أخت لها، تساعدها في حل واجباتها المدرسية، وكانت هذه الطفلة الجزائرية، برعاية كل أفراد الأسرة الفرنسية، يقول السارد: « وجدت الزهراء الراحة والهدوء التام، والجو الملائم للعمل الدراسي كما وجدت الاهتمام الكامل، والشفقة والاحترام من كل أفراد أسرة جزاف ».[2]

رغم أنّ هذه الفترة، تميزت بالحرب الدامية بين أبناء الجزائر، والاستعمار الفرنسي، إلاّ أنّ مظاهر المساعدة، والتكافل، والشفقة، كانت سائدة في بعض الأشخاص، وعائلة " جزاف " واحدة من العائلات، التي قامت بمساعدة الجزائريين وتوفير العمل والحماية لهم في المزرعة التي كان يملكها.

---

[1] الرواية، ص 27.

[2] الرواية، ص ن.

2-وجهة نظر السارد:

بعد الاستقلال حاول الفرد الجزائري، والفرنسي، فتح صفحة جديدة يسودها الحب والتآخي والاحترام المتبادل، وهذا ما قاله " السارد " في حوار مع " كلود ": « والآن قد انتهت الحرب وأخذ صاحب الحق حقه، ولم يبق علينا من الحقوق إلاّ حق الإنسانية، وحق أجيالنا في العيش معاً في كنف التآخي، والمحبة، والتعاون في السراء والضراء، وهذا ما يجمعنا الآن كأخوين خالي الصدر من شوائب الماضي، وضغائن الحاضر ».[1]

إنّ هذا المقطع السردي، يدل على الروح الإنسانية، التي يجب أن يتحلى بها كل جزائري أو فرنسي في نظر " السارد "، وهذا من أجل ترك الأرضية الصالحة، والتربة الخصبة لغرس هذه المبادئ السامية، في نفوس الأجيال القادمة، ولكن دون أن نغفل المجازر المرتكبة ضد الشعب الجزائري، فيجب على فرنسا تقديم الاعتذار على كل الأضرار التي خلفتها في الجزائر.

يرى " السارد "، أنّ من الحكمة والعقل ألا تترك مآسي الماضي تسيطر علينا، وتجعلنا أسرى للأحقاد وحب الانتقام، بل علينا أن نرمم الصدع، ونترك ما حدث للتاريخ، يقول السارد: « وأهم عمل يمكن أن نستفيد منه ونفيد به هو أن نضمد جراحنا بنشر المحبة والتآخي بين أبناء شعبينا (...)، ونطهر قلوبهم من الأنانية والحقد وحب الانتقام ».[2]

إنّ الفكرة التي يريد " السارد "، أن يوصلها للأجيال، هو أنّ الحرب قد انتهت، وأخذ صاحب الحق حقه، وعلينا أن نبتعد عن التعصب العرقي، والديني، والسياسي، حتى نُسوي

---

[1] الرواية، ص 43.

[2] الرواية، ص 96.

أغلب القضايا، التي خلفتها آثار الحرب لبناء عهد جديد، تسوده الأخوة، والثقة المتبادلة والصدق في القول والعمل.

3-حسان وتعرفه على " باصكال " الفرنسي:

نزل "حسان" إلى باريس بحثا عن العلم، ليجد نفسه مضطرا للعمل من أجل تغطية مصاريفه التعليمية، وشاء القدر أن يلتقي بـ " باصكال "، صاحب الفرن، يقول " حسان ": « باصكال الرجل الطيب، هو الذي استقبلني بحرارته، وضمني إلى فئة عماله البسطاء »[1]، فرغم اختلاف " حسان "، و" باصكال " في الهوية، إلاّ أنّهما استطاعا أن يتواصلا ويتبادلا الأفكار، و" باصكال " لم يتخذ موقفا عدائيا اتجاه " حسان "؛ لأنّه جزائري بل على العكس قدّم له المساعدة دون أي تمييز.

بعد سنة كاملة من العمل المرهق لـ " حسان " في الفرن، طلب من "باصكال" أن يسمح له بالغياب في المساء، ولمّا سأل " باصكال " " حسان " عن السبب، أخبره أنّه يدرس في الفترة المسائية، فنقله إلى دكان المخبزة وكلّفه بالصندوق واستقبال الزبائن مقابل منحة تفوق المرتب الشهري، وكل هذا من أجل أن يساعده في التوفيق بين الدراسة والعمل، يقول " حسان " « وبعد شهرين من بداية عملي في الدكان استدعاني في مكتبه الخاص وسلمني مفتاح غرفة مؤثثة في عمارة قريبة من المخبزة، ولمّا سألته عن ثمن الكراء قال: إنّها مساعدة إنسانية بسيطة، وأنّ الغرفة ستبقى تحت تصرفك ما دمت تشتغل عندي ».[2]

---

[1] الرواية، ص 76.

[2] الرواية، ص 77.

إنّ معاملة " باصكال " لـ " حسان "، كانت في إطار إنساني دون مراعاة اختلاف الهوية الثقافية بينهما؛ لأنّ المعاملة الطيبة، لا تنحصر في إطار الهوية الواحدة، بل تتعدى ذلك لتشمل الهويات الأخرى.

4-حسان وتعرفه على الفتاة الألمانية " سيلفيا ":

لم يكن " باصكال " وحده، هو الذي يساعد " حسان "، فحتى " سيلفيا " الفتاة الألمانية المثقفة المتواضعة ساهمت في استقرار حياة " حسان " في باريس، وساندته في الأوقات الصعبة رُفقة عائلتها، " سيلفيا " كانت يتيمة قام بتربيتها زوج عمتها، الذي حُرم من الأولاد، لكن رأى في " سيلفيا "، "وحسّان" هذه النعمة التي كانت تنقصه، يقول حسان « إن الرجل الذي كان يأويها خلال دراستها الثانوية والجامعية لم يبخل عليّ بشيء حتى أنّه كان يقول لي أثناء زيارتي لهم: « إذا كنت قد حرمتُ من الإنجاب فقد عوضني الله سيلفيا وأنت ».[1]

وهذا تمازج وتعايش آخر بين الهوية الجزائرية، والهوية الألمانية، فرغم الاختلاف الكبير في الهوية الثقافية لكلا الهويتين، إلاّ أنهما استطاعا الانسجام، ونظرا للإعجاب الكبير بين " حسان "، و" سيلفيا "، قرر " حسان " أن يتخذها زوجة له، دون أن يراعي اختلاف الهوية الثقافية بينهما، لأنه متأكد من أنّها ستمنحه الحياة السعيدة رغم جميع الفروقات.

كل هذه الأحلام، التي كان حسان يتأمل توقعها، انهارت بموت " سيلفيا " في حادث مرور مع عمتها وكانت الصدمة قوية على هذا الشاب، إلا أنّ الدعم والمواساة التي وجدها من قبل المحيطين به في باريس جعله يعود إلى الجو الدراسي ويحاول المُضي قُدُمًا في حياته.

---

[1] الرواية، ص 81.

5-حسان وزواجه بالفرنسية " إلان ":

قدّم " السارد " في روايته، نموذجا من التعايش الحضاري، بين أشخاص يحملون هويات مختلفة، واستطاعوا أن يخلقوا جوا من التفاهم، والإنسانية رغم هذا الاختلاف، فحسان وبعد مرور وقت طويل، ونجاحه في دراسته قرر الزواج من " إلان " ابنة "صوفيا" و" كلود " بعد أن تعرف عليها وأُعْجب بأخلاقها، يقول السارد: « وقد فجئتُ بإلان تمرُّ أمامي بثوب العروسة وتحييني باسمة دون أن تتوقف، وسارت وسط القاعة حتى جلست على الكرسي المعد لها ».[1]

هذا الزواج لم يجمع بين "إلان" و"حسان" بل جمع بين عائلتين، فـ "الزهراء" التي لم ترى صديقتها منذ الطفولة أتيحت لها الفرصة في زفاف ابنها بأن تراها، يقول " السارد " عن " صوفيا ": « احتضنت " زهراء "، وتدفق الدمع من مُقلتي كل منهما، فقام من كان جالسا وتوجهت الأنظار إلى حيث المشهد المثير ».[2]

هذا الحب الدفين بين الصديقتين أصبح قويا بارتباط " حسان " و" إلان "، فهذا الزواج دليل على التعايش الحضاري، بين الهوية الفرنسية والهوية الجزائرية في الرواية.

صحيح أنّ الزواج، هو نمط من أنماط التعايش بين الهويات إلاّ أنّه أصبح من الأزمات التي يعيشها المجتمع الجزائري في وقتنا الحاضر؛ لأنّ الشباب الجزائري اتخذ من الهجرة والزواج من الأجنبيات، عذرا لبناء مستقبله بعيدا عن وطنه وأهله، وهذه مشكلة اجتماعية على الباحثين النظر فيها وتوعية الشباب وغرس الروح الوطنية في نفوسهم.

---

[1] الرواية، ص 110.

[2] الرواية، ص ن.

وبذلك يمكن القول، بأنّ " السارد " قد قدم لكل شخصية من شخصيات الرواية دورا هاماً، وأبرز هوية كل شخصية، خاصة تلك التي تلعب دوراً بارزا في الرواية، وحاول بقدر كبير الابتعاد عن التعصب، وحث الأجيال الصاعدة على التعايش الفكري، والحضاري بين الهويات المختلفة.

مهما تحلينا بفضيلة نسيان الماضي، وتحكمنا في المشاعر الدينية، استجابة للصفحة الجديدة التي سنفتحها مع فرنسا، فلا يمكن أن ننكر الجرائم اللاإنسانية، التي اقترفتها فرنسا في حق الجزائريين، وليس من البحث العلمي في شيء، ولا من الأمانة التاريخية، أن نتجاوز هذه الجرائم تحت دعوى التجرد، أو عدم التعصب، أو نسيان مساوئ الماضي كليّة.

خاتمة

خاتمة:

بعد دراسة الهوية، والكشف عنها في رواية " ضحايا الغدر وطوفان الغضب لمحمد الطاهر سحري " توصلت إلى مجموعة من النتائج التي يمكن تحديدها، في النقاط الآتية:

- هناك تنوع في مفهوم الهوية، نتيجة ارتباط كل تعريف بالميدان الذي ينتمي إليه.
- الهوية الجزائرية، لا تتشكل إلا بتظافر مجموعة من المعالم، وتفاعلها مع بعضها البعض.
- تظهر الهوية الجزائرية قبل الاستقلال في الرواية من خلال التاريخ الجزائري (الثورة وأحداث الثامن ماي 1945)، بالإضافة إلى الوطن (الجزائر) الذي يمثل المعلم الأساسي للهوية الوطنية.
- حاول المستعمر الفرنسي، طمس الهوية الجزائرية بشتى الوسائل، إلاّ أنّ صمود الشعب الجزائري في وجه الحملات الشرسة، جعله يحافظ على هويته وأصالته.
- برزت هوية الشعب الجزائري، قبل الاستقلال في مظاهر المقاومة، التي تتميز بها الشعب من أجل نيل حريته.
- حاول السارد أن يصور لنا، مدى بشاعة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وما خلفه من معاناة في نفوس الجزائريين.
- أراد السارد في روايته، أن يظهر الهوية الفرنسية من الناحية الإنسانية، من أجل تجاوز رواسب الماضي، وفتح صفحة جديدة يسودها الحب والاحترام.
- الهوية الفرنسية الجماعية، تميزت بمظهرين؛ الأول: يتميز بالبشاعة والدموية؛ لأنّ فرنسا استعبدت أبناء الجزائر، وحرمتهم من أبسط الحقوق، والثاني: نلمس فيه نظرة متوازية ومتفهمة لتجاوز الماضي.

خاتمة:

- السارد أبرز الهوية الفرنسية، والجزائرية، من خلال ثنائية (الأنا والآخر)، فهوية (الأنا) الشعب الجزائري قبل الاستقلال، تميزت بالصمود والمقاومة، أمّا هوية (الآخر) الاحتلال الفرنسي، تميزت بالوحشية والاستبداد.
- تميزت نظرة (الأنا) الجزائري، (للآخر) الفرنسي، بعد الاستقلال يتجاوز الماضي الأليم من قبل (الأنا)، هذا من جهة، وبالانصهار والذوبان في بوتقة (الآخر) من جهة أخرى، أمّا نظرة (الآخر) الفرنسي (للأنا) الجزائري، فكلّها ندم على الماضي، وحسرة على فقدان أرض الجزائر، التي كانت منجم من ذهب للفرنسيين.
- جاءت الشخصيات العربية، في الرواية، حاملة لمعالم الهوية العربية، بالإضافة إلى أنّ الشخصيات الفرنسية، هي كذلك تحمل صفات الهوية الفرنسية.
- السارد أبرز مظاهر الصراع بين الهويتين الجزائرية، والفرنسية، إلاّ أنّه لم يهمل مظاهر التعايش بين الهويتين، وأبرزها من خلال التعاون، والتفاهم السائد، بين الشخصيات.

تمثّل هذه النقاط بعضا من النتائج، التي خلصت إليها من خلال موضوع الهوية في الرواية، ويبقى موضوع الهوية مفتوحا على الكثير من الدراسات، بحسب النصوص المختلفة.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

-أولا: المصادر والمراجع باللغة العربية:

1- المصادر:

1- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، لبنان، (د ط)، 1987.

2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة(هوا)، دار صادر، بيروت، مج 15، 1990م.

3- محمد الطاهر سحري، ضحايا الغدر وطوفان الغضب، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، (د ط)، 2008.

2- المراجع:

4- أحمد بعلبكي و آخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

5- أحمد طالب، الفاعل في المنظور السيميائي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط 1، 2002.

6- أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 1، 2009.

7- إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية ناشرون، الجزائر، ط 1، 2010.

8- إدريس الخضراوي وآخرون، الهوية والتخييل في الرواية الجزائرية قراءات مغربية، رابطة أهل القلم، سطيف، الجزائر، ط 1، 2008.

9- حسن علي مصطفى، نشأة الدين بين التصور الإنساني والتصور الإسلامي،مؤسسة الإسراء للنشر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1991.

قائمة المصادر والمراجع:

10- حسن سالم هندي إسماعيل، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دار الجامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.

11- بن سالم حميش، في معرفة الآخر، دار الحوار، سوريا، ط 2، 2003.

12- سعيد إسماعيل علي، الهوية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2005.

13- الشريف حبيلة، مكونات الخطاب السردي مفاهيم نظرية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2011.

14- شرف الدين مجدولين، الفتنة والآخر أنساق الغيرية في السرد العربي، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، لبنان، ط 1، 2012.

15- شريف رضا، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، (د ط)، 2011.

16- الصادق بن الناعس قسومة، علم السرد (المحتوى والخطاب والدلالة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ط 1، 2009.

17- صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية دراسة، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2003.

18- عباس يوسف حداد، الأنا في الشعر الصوفي (ابن الفارض أنموذجا)، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط 2، 2009.

19- عبير بسيوني رضوان، أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية، دار السلام، القاهرة، الإسكندرية، ط1، 2012.

20- عبد العزيز بن عثمان التويجري، الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن 21، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، المغرب، ط 2، 2015.

قائمة المصادر والمراجع:

21- عمرو خاطر عبد الغني وهدان، العربية والعولمة معالم الحاضر وأفاق المستقبل في ضوء الثقافة العربية والهوية الإسلامية، مؤسسة حورس الدولية للنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2010.

22- فاضل أحمد القعود، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي (دراسة نصية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2012.

23- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)،عالم المعرفة، الكويت، (د ط)، 2013.

24- مجدي حجازي، الثقافة العربية في زمن العولمة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د ط)، 2003.

25- محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، دار الأمان، المغرب/ منشورات الاختلاف، الجزائر/ الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1، 2010.

26- محمد حسن البرغثي، الثقافة العربية والعولمة دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2007.

27- محمد خمار، صورة الآخر في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2012.

28- محمد الداهي، صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2013.

29- محمد عبد الرؤوف عطية، التعليم وأزمة الهوية الثقافية، مؤسسة طيبة للطبع والنشر، القاهرة، ط1، 2009.

30- محمد علي سلامة، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، (د ط)، 2007.

31- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط 5، 2007

قائمة المصادر والمراجع:

32- نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني دراسة موضعية وفنية، دار العلم والإيمان للنشر، والتوزيع، كفر الشيخ، ط 1، 2009.

33- نبيل محمد توفيق السمالوطي، الدين والبناء العائلي دراسة في علم الاجتماع العائلي، دار الشرق، جدة، السعودية، ط1، 1981.

34- نورة فرج، ارتباكات الهوية أسئلة الهوية والاستشراق في الرواية العربية الفرنكوفنية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان/ الدار البيضاء، المغرب، ط1، (دت).

-ثانيا: المراجع المترجمة:

35- Peter Gozen، البحث عن الهوية" الهوية وتشتتها في حياة إبرك ايركسون وأعماله"، ترجمة: سامر جميل رضوان، دار الكتب، العين، الإمارات، ط1، 2010.

-ثالثا: الملتقيات والمجلات:

36- زهراء عاشور، الهوية اللغوية بين ساطع الحضري و مولود قاسم نايت بلقاسم سؤال الهوية والإنية عند مولود قاسم نايت بلقاسم في ظل العولمة، الملتقى الأول جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر،(د ط)، 2011.

ملحق

ملحق: " الكاتب والرواية "

1- الكاتب في سطور:

محمد الطاهر سحري، المولود سنة 1936 ببني صالح ولاية قالمة الجزائر، صدرت له أعمال من بينها: [1]

- (من أيام الصراع) رواية تاريخية، طبعت بالجزائر، سنة، 1999.
- (من ذكريات الربيع) ديوان شعر، طبع، سنة، 2004.
- (رحلة في عالم الأساطير السومرية)، بحث وتحليل لمجموعة من أساطير السومريين، وتبسيط نصوصها، وإعادة صياغتها حسب جنسها الأدبي أو التاريخي، طبع سنة، 2007.
- (البحوث التاريخية وإشكالية مضمون التوراة)، نقد لغوي ومقارنة بين ما ورد في الوثائق التاريخية الموثقة، وما جاء في روايات كتاب أسفار التوراة.
- (جموح العاطفة في قصائد الحب)، ديوان شعر، طبع سنة، 2007.
- (مذكرات من سنوات الجحيم)، رواية تاريخية، طبعت سنة، 2007.
- (رحيل الآباء وحيرة الأبناء)، رواية تاريخية، طبعت سنة، 2007.
- (بيدرو وكاترينا الأوراسية)، رواية تاريخية، طبعت سنة، 2008.
- (مختصر تاريخ الدولة العثمانية الجزء الأول)، طبع سنة، 2008.

---

[1] ينظر: نبذة عن المؤلف، آخر الرواية، ص 117.

2- واجهة الرواية:

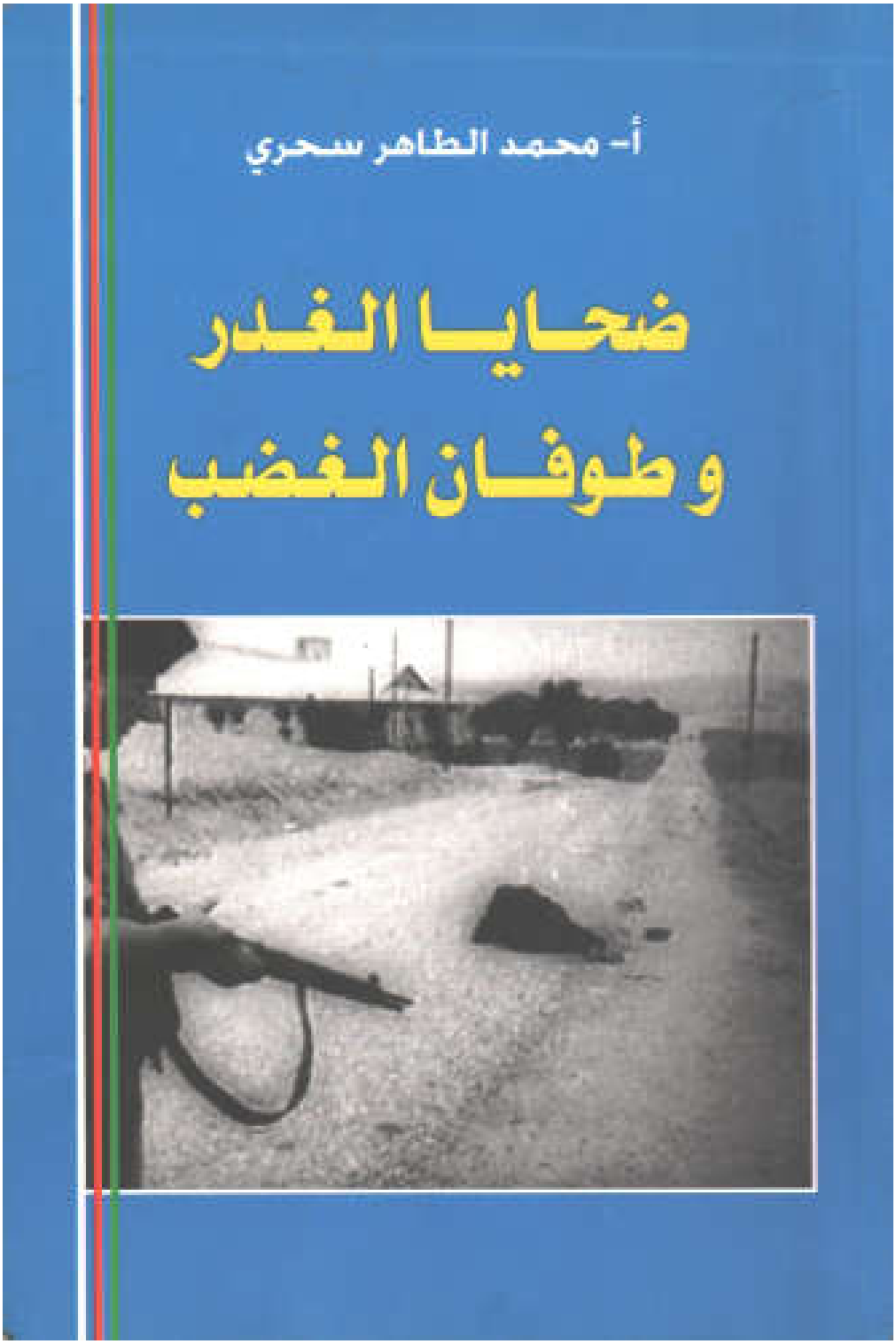

3- ملخص الرواية:

تبدأ أحداث الرواية عند التقاء السارد بفتاة في الحافلة اسمها " خولة "، وفي أثناء الحديث الذي دار بينهما، اكتشف بأنّ والدتها " الزهراء ". ممن حضروا مجازر الثامن ماي (1945)، وأن جدّي خولة من بين ضحايا ذلك اليوم المشؤوم، فقرر السارد زيارة هذه السيدة، لمعرفة المزيد عن هذه الأحداث، وعند زيارته لها، سردت له ما حصل لها، فالزهراء كانت طفلة لا تتجاوز ثلاث سنوات عندما حملتها والدتها، وانطلقت إلى مزرعة المعمر الفرنسي " جزاف "، لتسأل عن زوجها " سالم "، الذي لم يعد منذ الصباح، وكانت الجثث منتشرة في أرجاء سطيف، وما إن اقتربت من المزرعة حتى فاجأتها رصاصة غادرة، أردتها قتيلة، لتأخذ " كارلين " " الزهراء "، وتبقيها في المزرعة إلى أن تأتي عمتها وزوجها لأخذها، أصبحت " الزهراء " يتيمة بعد وفاة والديها.

وعند بلوغ " الزهراء " سن السادسة، أخذها " جزاف " إلى منزله لتبدأ دراستها، ولكن الماضي لم يدع " الزهراء " تكمل مشوارها الدراسي، فانقطعت عن الدراسة في المرحلة الثانوية،، لتتعرض بعدها للاغتصاب من قبل ضابط فرنسي، إثر مداهمة قام بها جنود فرنسيون على مزرعة " جزاف ".

بعد سماع السارد قصة " الزهراء " قبل الاستقلال، قرر السفر إلى فرنسا، وبالتحديد إلى مدينة " كان "، لمقابلة عائلة " جزاف "، فوجد " صوفيا "، ووالدها " جزاف "، وطلب منهما تزويده ببعض الحقائق عن أحداث الثامن ماي (1945)، وكان له ما طلب، وعند عودته من فرنسا، قصد منزل الزهراء ليجد ابنها " حسان "، المغترب منذ سبع سنوات قد عاد إليها بعد أن توفي والده ولم يره.

ملحق: " الكاتب والرواية "

عودة حسّان أدخلت الفرحة على قلب " الزهراء "، وأخبرها أنّه يخطط للزواج من صديقته الألمانية " سيلفيا " الذي أعجب بها، وبعد عودته إلى فرنسا شاء القدر أن تموت " سيلفيا " رفقة عمتها في حادث مرور، استطاع " حسّان " تجاوز هذه الصدمة، وأكمل مشواره الدراسي بنجاح، وأرسل لـ " الزهراء " و" خولة " والسارد يدعوهم لحضور زفافه، والمصادفة أن زوجته " إلان " ابنة " صوفيا " صديقة " الزهراء "، ولم تكتشف " الزهراء " ذلك إلا بعد حضورها للزفاف في باريس، وكانت الفرحة كبيرة عند التقاء العائلتين، وبهذا الحدث البهيج انتهت أحداث الرواية.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	(أ-ج)
مدخل: الهوية بحث في المفاهيم	(5-22)
أولا: الهوية بين المفهوم اللغوي و الاصطلاحي	5
1-المفهوم اللغوي.	5
2-المفهوم الاصطلاحي.	6
2-1- في التصور الغربي	6
2-2- في التصور العربي	7
ثانيا : الهوية العربية في ظل العولمة	10
ثالثا : الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية	13
1- نشأة الرواية	13
1-1-عند الغرب	13
1-2-عند العرب	14
2- ظهور الرواية الجزائرية	15
2-1-فترة ما قبل الاستقلال	16
2-2-فترة ما بعد الاستقلال	16
3- تمثلات الهوية في الرواية الجزائرية.	17
رابعا : معالم الهوية الوطنية	19
1-اللغة العربية	19
2-الثقافة	20
3-التاريخ الجزائري	21
4-الدين الإسلامي	21
الفصل الأول: الهوية بين ثنائية (الأنا والآخر)- دراسة في الرواية	(24-54)
أولا: الهوية بين (الأنا والآخر) قبل الاستقلال	24
1- الأنا بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي	24
1-1- المفهوم اللغوي	24

فهرس الموضوعات

1-2- المفهوم الاصطلاحي	25
2- صورة (الأنا) الشعب الجزائري في الرواية	27
2-1- صورة الكفاح المسلح والمقاومة	27
2-2- صورة التضحية والروح الوطنية	29
3- الآخر بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي	31
3-1-المفهوم اللغوي	31
3-2-المفهوم الاصطلاحي	32
4- صورة (الآخر) المستعمر الفرنسي في الرواية	33
4-1- تجنيد الجزائريين	34
4-2- الوعود الكاذبة	35
4-3- مجازر الثامن ماي 1945	36
4-4- فتح مدارس فرنسية وتهميش اللغة العربية	38
ثانيا: الهوية وجدلية (الأنا والآخر) بعد الاستقلال	40
1- نظرة الآخر (الفرنسي) للأنا (الجزائري)	41
1-1- الحنين إلى الجزائر وأهلها	41
1-2- اعتراف الآخر بجرائمه في الجزائر	44
2- نظرة الأنا (الجزائري) للآخر (الفرنسي)	47
2-1- صورة الاحترام والتقدير للآخر	47
2-2- ذوبان الأنا في بوتقة الآخر	50
الفصل الثاني: الهوية والتعايش الحضاري في الرواية	(56-77)
أولا: الهوية العربية	57
1-شخصية السارد	57
1-1-حب الوطن	58
1-2-الاهتمام بالتاريخ الجزائري	59
2-شخصية الزهراء	61
2-1- معاناة الزهراء قبل الاستقلال	62

فهرس الموضوعات

2-2- معاناة الزهراء بعد الاستقلال	64
3-شخصية الشاب المصري	65
ثانيا: الهوية الفرنسية	66
1-شخصية جزاف	66
1-1-الدين المسيحي	67
1-2-الانتماء إلى الوطن (فرنسا)	68
2-شخصية كلود	69
ثالثا: التعايش الحضاري	71
1-الطفلة الزهراء في منزل جزاف	72
2-وجهة نظر السارد	73
3-حسان وتعرفه على " باصكال " الفرنسي	74
4-حسان وتعرفه على الفتاة الألمانية " سيلفيا "	75
5-حسان وزواجه بالفرنسية " إلان "	76
خاتمة	79
قائمة المصادر والمراجع	82
ملحق	87
فهرس الموضوعات	92

ملخص البحث:

الهوية: هو مصطلح متشعب المجالات، يحمل بين طياته الكثير من المعاني، ولعلّ هذه الدراسة كشفت بعضاً من معالم الهوية في رواية " ضحايا الغدر وطوفان الغضب " لمحمد الطاهر سحري ".

وقد جاءت عبارة عن مدخل تناولت فيه ضبط المفاهيم النظرية للهوية، ثم يليه الفصل الأوّل والذي قُمت فيه بدراسة الهوية في ظل ثنائية (الأنا) و(الآخر) قبل وبعد الاستقلال في الرواية، أمّا الفصل الثاني فأبرزت فيه الهوية من خلال الشخصيات الروائية والتعايش الحضاري الذي جمع بين الهويات المتعددة رغم الاختلاف فيما بينها.

وبذلك فقد عبّرت الرواية عن الهوية في فترة من" التاريخ الجزائري.

Résumé :

L'identité est un concept qui touche plusieurs domaines. Il prend de différentes significations. Cette étude nous dévoile quelque univers d'identité dans le roman " Les victimes de la trahison et un flot de colère " de Mohamed Taher Sahri.

Notre étude est une sorte d'introduction générale qui sert à préciser quelques concepts théoriques d'identité suivie par le premier chapitre ou nous présentons une étude d'identité qui prend en charge " le moi " et " l'autre " avant et après l'indépendance dans le corpus. Candis que dans le deuxième chapitre nous présentons l'identité à travers les personnages romanesques mais aussi, l'entente et l'acceptation des l'autre malgré la pluralité des identités et les différences entre elles.

En effet, le roman a pris en charge l'identité pendant une période importante de l'Histoire Algérienne.